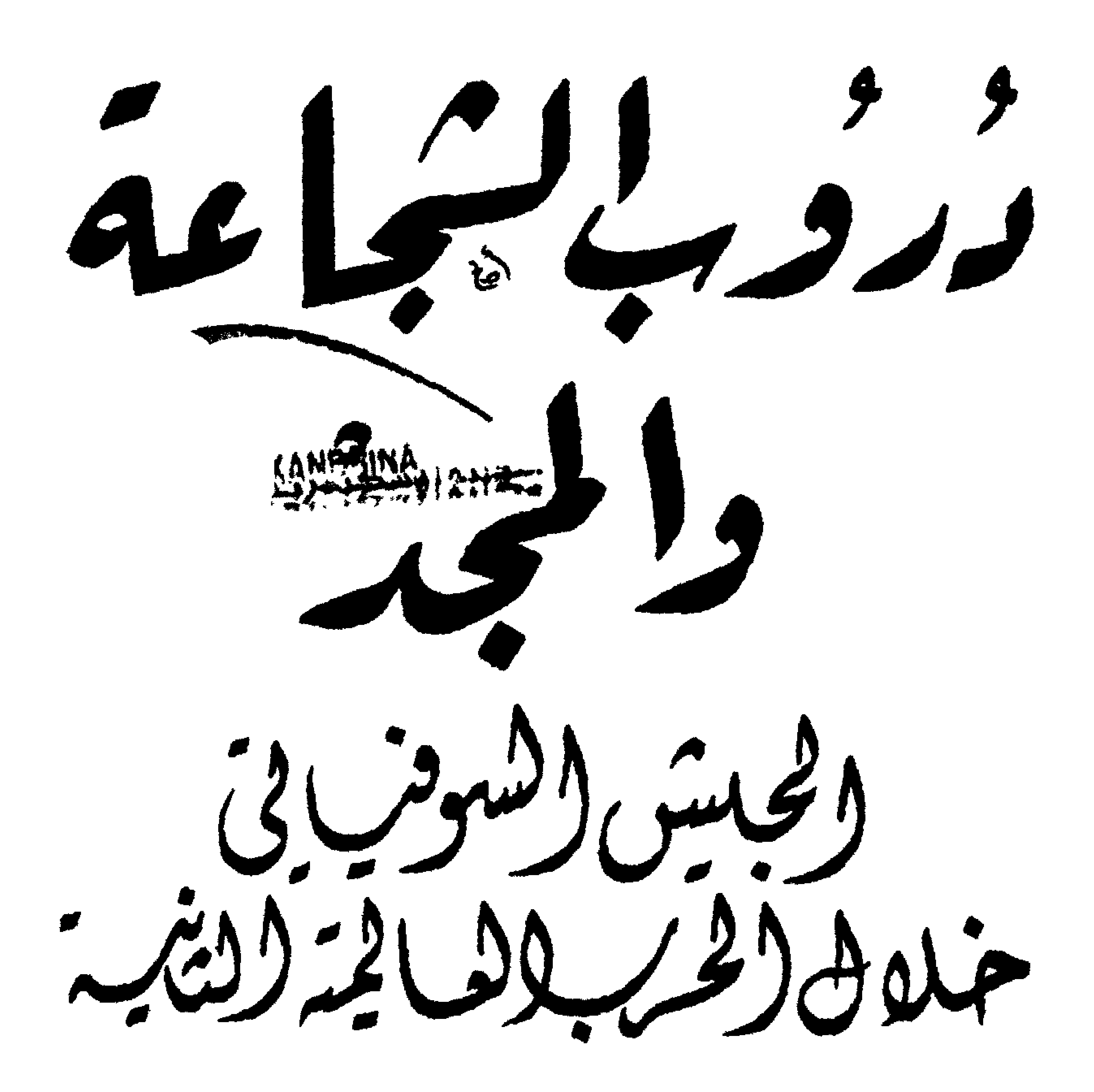
الكولونيل فاسيلي ريابوف

دروب الشجاعة والمجد



الكولونيل فاسيلي ريابوف



يتحدث هذا الكراس عن تشكيل الجيش الاحمر ، ويشير الى المزايا العسكرية والاخلاقية للجندي السوفياتي ، والشجاعة والبطولة اللتين ابداهما في المعارك التي خاضها في سبيل تحرير وطنه وبلدان اوروبية عديدة من النير الفاشي . ويصف المراحل الرئيسية للحرب الوطنية الكبرى ونضال الشعوب السخي ضد النازية ، والمساعدة التي حملها الانتصار على الفاشية الاوروبية والعسكرية اليابانية ، الى حركة التحرر الوطني لشعوب آسيا ، وافريقيا ، واميركا اللاتينية .

ان خاتمة هذا الكتاب مكرسة للجيش السوفياتي اليوم ، ولدوره في الدفاع عن السلم وعن سلامة الشعوب أمام خطر حرب حرارية ــ نووية . لقد اجتاز مؤلف هذا الكراس ، الضابط فاسيلي ريابوف ، كل رتب السلك العسكري في صفوف الجيش السوفياتي ، من رتبة جندي بسيط الى رتبة عقيد . وتقديرا لكفاحه في الحرب الوطنية الكبرى (١٩٤١ ــ ١٩٤٥) ، قلد ثمانية اوسمة ومداليات . وبعد الحرب تخرج من اكاديمية لينين العسكرية والسياسية . وفي الوقت الراهن ، فان فاسيلي ريابوف صحفي عسكري . وقد كتب مقالات وكراريس عديدة عن القوات المسلحة السوفياتية والصورة الاخلاقية لجنود وضباط هذا الجيش .

الانسان الجديد تحت السلاح

يقال انه يوجد في كل مقارنة شيء عرفي . ومع ذلك فان هناك مقارنة تفرض نفسها بين حدثين من أحداث نصف قرن يتألف منه تاريخ الدولة السوفياتية ، بين هجومين لهما طابع وزمن مختلفان ، لكن محتواهما ونتائجهما كانت هامة ايضا . واود ان أتحدث عن الهجوم على قصر الشتاء في بطرسبورج (١) ، وقصر الرايخستاغ في برلين .

يعود الحدث الاول لاوكتوبر ١٩١٧ حين حقق شعب روسيا الكادح الثورة الاشتراكية بعد ان وضع حدا لسيطرة البورجوازية وملاكي الاراضي النبلاء ، واستولى على السلطة كلها . ويقع الحدث الثاني في ايار ١٩٤٥ في الوقت الذي أشرفت فيه الحرب العالمية الثانية في مسرح العمليات الاوروبي على نهايتها ، وحين انهارت المانيا الهتلرية .

فأية نقاط مقارنة يمكن العثور عليها هنا ان لم يكن واقع ان قصر الشتاء والرايخستاغ قد انتزعهما بالقوة جمهور من الناس المسلحين ؟ ان الامر لا يتعلق بذلك بالطبع . وفي الواقع ، ففي مغزاهما الاجتماعي ، والسياسي ، والعالمي العميق انما يجمع بين هذين الحدثين الخالدين شيء مشترك .

وليس هناك أدنى شك بالنسبة للسوفياتيين ، ان الاستيلاء على قصر الشتاء وانتصار الثورة الاشتراكية ، اللذين بتوفيرهما

---

(١) المقر القديم للقياصرة في بطرسبورج ، ثم مقر الحكومة المؤقتة التي شكلتها البورجوازية .

ظروف نهوض سياسي واقتصادي جبار لروسيا جعلا من الممكن تعزيز دفاعها وتشكيل جيش حديث . وهذا الجيش المجدد هو بالتحديد الـــذي صد فيما بعد الغزو الفاشي واستعاد المبادرة ووجه ضربته الى قلب الوحش النازي ، الى برلين . وتوجد اذن بين هذين التاريخين علاقـــة من السبب حتى النتيجة . ولذلك فقبل البحث في دور الجندي السوفياتي فـي المعارك الحاسمة للحرب العالمية الثانية ولكي يدرك القارىء على نحو أفضل منشأ القيمة العسكرية والاخلاقيـــة للمكافحين الـسوفيات ، فسنبدأ بالرجوع الى فترة ابعد لكنها فترة رئيسية بالنسبة لتتمة قصتنا .

في سبيـــل فهم المسائل الخطيرة على نحو افضل

نيسان ١٩١٧ . في مدن وقرى روسيا تستيقظ الجماهير على حياة سياسية نشيطة . وها قد مضى شهران منذ اسقطت الثورة الديمقراطية البورجوازية السلطة المطلقـــة القيصرية . وتتعايش في البلاد جنبا الى جنب سلطتان ، الحكـــومة المؤقتة البورجوازية ، التي تواصل سياسة القيصر ، والسوفياتات التي تعبر عن مصالح الشغيلة . ويعود لهـــاتين السلطتين جيشان ، الاول ، جيش الملكية الذي يدعم ، مع شيء من التردد ، الحكومة المؤقتة ، في حين أن الجيش الاخر ، الجيش الاحمر العتيد ، يتكون من فصائل قليلة العدد للحرس العمالي تميزت بكفاحيتها وبروحها الثورية .

في ذلك الوقت كان لينين في طريقه الى بطرسبورج عبر فنلندا . ولم يكن لينين ، القصير القامة ، المتواضـــع اللباس ، الطيب المعشر ، الذي تنبثق من عينيه المنثنيتين ابتســـامة مرحة وطيبة ، لم يكن يتميز بشيء عن ركاب القطار الاخرين . وحين شاهد رفاقه يبتسمون لدى سماعهم حديث امراة عجوز ، طلب بأن تترجم له أقوالها . وكانت المرأة الفنلندية تقارن بين جنـــود الجيش القديم والحرس العمالي قائلة بأن الأول كانوا يدافعون عن مصالح الملاكين ، اما الاخرون فيدافعون عن مصالح الفقراء . وقد قالت : « في الماضي كان الفقير يعاقب معاقبة قاسية اذا أخذ عود حطب دون اذن . اما الان فاذا صادفتم جنديا في الغابة

فسيساعدكم حتى في حمل رزمتكم . والان فلم يعد هناك مجال للخوف من الرجل الحامل للبندقية » .

في تشرين الثاني ١٩١٨ ، بعد مرور عام على انتصار الثورة التي كان قد جاء لينين لتولي قيادتها ، روى هذه النبذة للتلاميذ الضباط في الجيش الاحمر الذي أصبح بعد ذلك جيشا نظاميا ، والذي استأنف تقاليد الحرس العمالي . قال لينين معلقا على ملاحظة الفنلندية العجوز : « أعتقد ان من الصعب العثور على مكافأة أفضل للجيش الاحمر » .

وكان لينين يريد بذلك أن يبرز الطابع الشعبي للجيش الجديد وان يشير الى النبالة الاخلاقية « للانسان الجديد الحامل للسلاح » .

لا يقاتل الشعب الا مرغما

يتلخص افتراء من الافتراءات المفضلة لدى اعداءالاشتراكية في بث الاعتقاد بأن الشيوعيين هم دائما تقريبا أنصار متحمسون للعنف وللحروب . وكل لجوء للسلاح من قبل الشعوب المناضلة في سبيل حريتها يصور من هذه الزاوية باعتباره ثمرة « المكائد الشيوعية » و « العدوان الشيوعي » . وهذا ليس بالشيء الجديد . فمنذ زمن بعيد حاول أعداء الحكم السوفياتي ، في زمن ثورة اوكتوبر والحرب الاهلية (١٩١٧ — ١٩٢٠) ان يحطوا ، بمثل هذه المزاعم ، من مكانة الدولة الاشتراكية الفتية .

لكن مزاعمهم لا تصمد امام الوقائع التاريخية .

فمن المعلوم ان لينين والبلاشفة قد نادوا ، بعد ثورة شباط ١٩١٧ ، بانتقال الحكم سلميا الى السوفياتات التي كانت تمثل الشعب الثوري . وقد اقتضى الامر أن تحاول الرجعية تصفية هيئات الحكم الشعبي بقوة السلاح كي يدعو لينين وحزبه البروليتاريا الى الرد بنفس الطريقة . ومع ذلك فان ثورة اوكتوبر تظل من الانقلابات الاقل دموية التي عرفها التاريخ . ان الانتفاضة التي حدثت في بطرسبورج ، لم تكلف بحد ذاتها سوى بضع عشرات من الضحايا .

ان الحرب العالمية التي كانت مستمرة آنذاك ، كانت تخطف

كل يوم حياة الوف وعشرات الالوف من المجندين . الا ان طلقات الطراد اورورا ضد قصر الشتاء في ٧ تشرين الثاني كانت ستكون طلقات القتال الاخيرة لو ان الحكومات البورجوازية للبلدان المتحاربة قبلت اقتراحات الجمهورية السوفياتية بصدد الصلح الفوري .

كان العمل التشريعي الاول للحكومة العمالية والفلاحية في روسيا ، التي كان على رأسها لينين ، اصدار مرسوم السلام . وقد دعت في هذا المرسوم شعوب وحكومات جميع البلدان المتحاربة الى الشروع فورا في مفاوضات من اجل عقد صلح ديمقراطي وعادل ، دون الحاقات ولا غرامات .

وجاء في مرسوم الحكومة السوفياتية : « ان مواصلة هذه الحرب لمعرفة كيفية تقسيم الشعوب الضعيفة بين البلدان الاقوى والاغنى ، تلك الشعوب التي استولت عليها البلدان المذكورة ، هي براي الحكومة اكبر جريمة ضد الانسانية . وتعلن الحكومة على رؤوس الاشهاد عن عزمها على ان توقع فورا شروط صلح يضع حدا لهذه الحرب . شروط مساواة وعدل لجميع الشعوب دون استثناء ، وهي شروط سبق أن اشير اليها » .

ان حكومات البلدان المتحاربة ، التي أبلغت هذه الاقتراحات ، لم تجدها حتى جديرة بالجواب ، وأسرعت لاطلاق صفة الدعاية على هذه الوثيقة التي كانت تعكر مشاريعها الحربية .

وقد اعترف المؤرخون البورجوازيون الاكثر موضوعية بالاهمية الكبرى لمرسوم السلام . وقد ذكر الانكليزي كار ، في كتابه **تاريخ روسيا السوفياتية** ، ان مرسوم السلام الشهير ، هذه الدعوة الواقعية لعقد صلح ديمقراطي من قبل شعوب وحكومات البلدان المتحاربة ، كان العمل الهام الاول للسياسة الخارجية لحكومة العمال والفلاحين . وذكر الاميركي فيشر من جانبه انه ولو ان البلاشفة كانوا يريدون السلم لمصلحتهم ، الا انهم كانوا يسعون جاهدين في نفس الوقت لوقف الحرب العالمية في كل مكان ، من اجل جميع الناس وفي جميع البلدان .

وقد شرح مرسوم السلام مبادىء التعايش السلمي التي لا تزال تسود حتى الان السياسة الخارجية للاتحاد السوفياتي .

ان المصلحة الحيوية للعمال والفلاحين الذين استولوا على الحكم لم تكن خوض الحرب ، بل تسيير اقتصاد بلادهم سلميا ،

وتحسين ظروف حياتهم على نحـــو جذري ، لان هذه كانت في نهاية الامر الاهداف التي قاموا بالثورة من اجلها .

لم تلبث الاعمال الاولى للحكومـــة السوفياتية ان جسدت رغبتها في التعايش السلمي مع شعوب البلدان الاخرى . وقد دافع الحكم الجديد بثبات وحزم عن الاعتراف اللامشروط بحق جميع الشعـــوب ، الصغرى والكبرى ، في تقرير المصير ، وفي تكوين دولة مستقلة . وقد الغيت المعاهدات المجحفة المعقودة من قبل القيصر والحكومة المؤقتة ، ونبـــذت أساليب الدبلوماسية السرية وتقرر تسريح الجنود .

أي شعار كان يتوجب اختياره لروسيا السوفياتية ؟ لقد ورد هذا السؤال في جدول أعمال اجتماع حكومي حين كـــانت الحرب الاهلية والتدخل الاجنبي قد بدآ . فاقترح رسم سيف على الشعار . لكن لينين احتج احتجاجا شديدا وقال : « ما حاجتنا بالسيف ؟ نحن لسنا بحاجة لفتوحات . فسياسة الفتح غريبة عنا بصورة مطلقة ، ونحن لا نهاجم بل نرد عـــلى الاعداء الداخليين والخارجييـــن ، وحربنا هي حرب دفـــاعية ، والسيف ليس شعـــارنا » . ان المنجل والمطرقة ، رمزي الجهـــد المبدع ، هما اللذان أصبحا شعار بلاد السوفيات .

في الاشهر الخمسة الاولـى التي عقبت انتصار الثورة ، لم تكن الجمهورية السوفياتية تحوز عمليـــا قوات مسلحة . فالفصائل العماليـــة (الحرس الاحمر) التي كانت اشبه بقوة ميليشيا ، لم تكن تضم سوى بضع عشرات الالوف من المقاتلين . بل ولم يكن موضع بحث حتى انشاء جيش نظـــامي ، حيث ان حكومة العمال والفلاحين لم تكن بحـــاجة اليه من اجل تحقيق خططها في السياسة الخارجية . وقبل انتصار الثورة ، كان لينين يقول منذ ذلك الوقت ان نزع السلاح هو المثل الاعلى للاشتراكية. فوحدات الميليشيا كانت كافية بصـــورة واسعة لحماية ملكية الدولة والمحافظة على الامن الداخلي . لقد أبدى الشعب الحاكم شهامة تجاه أعدائه الطبقيين ومضطهـــديه الازليين . ولم يكن يعتزم ابدا ان يتخذ بحقهم تدابير قمـــع . وكانت نيته اشراكهم شيئا فشيئا في عمل الجميع واعادة تربيتهم بروح التفاني للمجموع، للوطن الجديد . في الاشهر الاولى التي عقبت الثورة ، اطلق سراح

عدد كبير من الجنرالات الرجعيين وكبار الموظفين بناء على وعد شفهي . لكن الاحداث اثبتت ان الكثيرين منهم اخلوا بوعدهم وتمادوا باعتمادهم على كرم الثورة .

ان الطبقات المستثمرة (بكسر الميم) التي انتزعت الثورة منها الحكم وقسما كبيرا من الملاكات المدنية والعسكرية التي كانت في خدمتها ، لم تكن تضمر سوى الحقد على الحكم السوفياتي . وبعد ان اتصلت بالاوساط الرجعية الاجنبية ، اظهرت انها على استعداد لان تدفع اي ثمن مقابل عودة النظام السابق، ووصل بها الامر حتى التضحية بالمصالح الحيوية لروسيا والقبول بأن تصبح مستعمرة للراسمال الاجنبي .

كان للراسماليين الاجانب اسبابهم الوجيهة للتدخل في الشؤون الروسية . فقد حرم انتصار الثورة الروسيةالصناعيين وأصحاب المصارف في انكلترا ، وفرنسا ، وبلجيكا ، والبلدان الاخرى ، من اسواق تصريف ملائمة ومن مجال توظيفات جيدة لرساميلهم ، ومن مصدر للارباح الاسطورية . وكانت الحكومة السوفياتية قد ألغت القروض التي عقدها القيصر والحكومة البورجوازية من اجل مواصلة الحرب ضد المانيا وحلفائها . وربما ان حكومات التحالف كانت لا تزال تشعر على نحو اكثر ايلاما ايضا بخسارة الجيش الروسي الكثير العدد الذي كان يجمد أمامه ما لا يقل عن نصف الفرق الالمانية والنمساوية ـ الهنغارية. واخيرا فان القوى الرجعية الغربية كانت تخشى من انتقالعدوى الاحداث الثورية في روسيا الى بلدانها ذاتها . وهكذا فمنالسهل ان نرى ان الاوساط الحاكمة في الدول الامبريالية لم تكن تفتقر الى الذرائع للتدخل في شؤون الشعب السوفياتي (١) .

الا يذكرنا كل ذلك بالاعمال الراهنة للمستعمرين وعملائهم

---

(١) كتب احد منظمي التدخلالمسلح ، تشرشل ، في مؤلفه « الازمةالعالمية » الذي صدر في عام ١٩٢٩ ما يلي : « هل كان الحلفاء في حالة حرب مع روسيا السوفياتية ؟ كلا بالطبع . لكنهم كانوا يطلقون النار على جميع السوفياتيين الذين كانوا يصادفونهم . وكانوا بمثابة فاتحين في الاراضي الروسية . وكانوا يسلحون أعداء الحكومة السوفياتية ، ويحاصرون مرافئها ، ويغرقون سفنها ، ويتمنون بحرارة سقوطها ويضعون المشاريع الهادفة الى انهيارها .

في آسيا ، وفي افريقيا ، وفـي اميركا اللاتينية ، في كل مكان تخوض فيه الشعوب المضطهدة كفاحا عادلا في سبيل تحررها الوطنـي ؟

تثبت تجربة التاريخ ان الامبرياليين والطبقات المستثمرة (بكسر الميم) الحاكمة ، لا تتخلى عن امتيازاتها الا بعد كفاح ضار. واذا كان من الصعب بالنسبة للشعب الاستيلاء على الحكم ، فانه لأصعب ايضا المحافظة عليه وتوطيده .

منذ الايام الاولى لثورة اوكتوبر حاول أعداؤها اسقاط حكم العمال والفلاحين بواسطة الفتن المعادية للثورة والتحريض المعادي للسوفيات ، والحصار الاقتصادي والعزلة الدبلوماسية . وامام فشل هذه المحاولات أطلقوا الى الميدان الجيوش الجيدة التنظيم والجيدة التجهيز ، جيوش الحرس الابيض والحملات العسكرية الاجنبية . وقد اضطر الشعب السوفياتي ، بالرغم من امانيه السلمية ، الى سلوك الطريق الدموي ، طريق الحرب . ووجدت البلاد نفسها محاطة بالحلقة النارية للجبهات العدوة .

الوطن المتعرض للخطر ينادي حماته

كان الشعب السوفياتي أمام الخيار التالي : اما الاستسلام الى مشيئةاعداء الثورة والرزوح تكرارا تحت نير المضطهدين (بكسر الهاء) الروس والاجانب ، أو تعبئة كل قواه وكل موارده في سبيل الدفاع عن حريته واستقلاله . وأطلقت الحكومة السوفياتية النداء التالي : « الوطن الاشتراكي في خطر ، هبوا للدفاع عنه ! » .

من الجلي ان قوات الحرس الاحمر الضعيفة لم تكن تكفي أبدا لخوض حرب اهلية ومجابهة التدخل الاجنبي . وكان ينبغي بأقصى السرعة ، تحت نيران العدو ، انشاء جيش نظامي قادر على حماية مكتسبات ثورة اوكتوبر التي تواجه عدوا قويا - لا يعرف الرحمة .

وفي ٢٨ كانون الثاني ١٩١٨ ، أنشأ مجلس مفوضي الشعب بمرسوم ، على أساس التطوع ، الجيش الاحمر ، جيش العمال والفلاحين . وفي نيسان طبق التعليم العسكري للشغيلة ، وفي أيار الخدمة العسكرية الاجبارية .

وفي مثل هذه الظروف التي لا يصدقها العقل ، وفي غمرة الفوضى الاقتصادية ، وعلى شفير الجوع ، ومع شعب ملئ سنوات الحرب الطويلة انما شرع في انشاء التشكيلات الاولى للجيش الجديد . وكانت الملاكات الضرورية غير متوفرة ، لان ضباط الملكية كانوا يأتون بصورة رئيسية من الطبقات الثرية المعادية للثورة .

ومع ذلك فان جميع هذه المصاعب قد تم التغلب عليها . فنداء الحكومة السوفياتية للتطوع في الجيش الجديد أثار حماس الجماهير الشعبية ، والعمال ، والفلاحين الفقراء بصورة خاصة . ان التطوع الاختياري ، ثم التعبئة ، قد قدما مئات الالوف بل وملايين الجنود . وبالنسبة لكثيرين منهم أمثال فرونزي ، وبوديني ، وبلوخر ، وتشابايف ، وشتشورس ، وبارخومنكو ، فان ميدان المعركة قد كان بمثابة الاكاديمية العسكرية التي أتاحت لهم الوصول الى مسؤوليات الضباط بل وكبار الضباط . والى جانب ذلك ، وتحت مراقبة المفوضين السياسيين ، عهد بقيادات الى اختصاصيين في الجيش السابق ، أثبت الكثيرون منهم اخلاصهم . ونشير من بينهم الى ضباط كبار وجنرالات بارزين في الجيش القيصري امثال كامينيف ، وكاربيشيف ، وبونتش ـ برويفتش . تعمد الجيش الاحمر الفتي بالنار في شباط ١٩١٨ حين شنت جيوش المانيا الامبريالية ، مستغلة مصاعب الجمهورية السوفياتية الفتية ، الهجوم انطلاقا من بلاد البلطيق باتجاه بطرسبورج . ان سلسلة من المعارك التي جرى خوضها من ١٨ الى ٢٥ شباط قد أوقفت التقدم الالماني في مصبي النارفا والبتسكوف . وتخليدا لذكرى هذه المعارك الاولى ضد الغزاة والنهوض الجماهيري للشعب ضد العدو ، يحتفل كل عام في ٢٣ شباط ، بيوم الجيش والبحرية السوفياتيين .

لكن ذلك لم يكن سوى الاصطدام الاول ولم يكن واحدا من اعنف الاصطدامات . وفي ١٩١٨ ـ ١٩٢٠ ، اضطرت الجمهورية السوفياتية لمجابهة هجمات عديدة هامة اشترك فيها ٧٠٠ الف رجل عبأتهم الثورة المعاكسة الداخلية وحوالي ٤٠٠ الف جاء بهم المتدخلون من ١٤ بلدا من البلدان الرأسمالية . وقد كانت هناك أيام حرجة كان فيها العدو على مقربة من قلب الجمهورية موسكو

وحيث كان اكثر من ثلاثة ارباع روسيا في ايدي الثورةالمعاكسة. وقد صمد الشعب السوفياتي بالرغم من كل شيء وتغلب على كل المحن وانتصر .

كثيرون من المؤرخين والصحفيين الاجانب لا يعرفون حتى الان كيف ينبغي تفسير انتصار روسيا المنهكة المصابة بالخراب على قوات متفوقة جدا . وهم لا يدركون كيف ان الجيش الاحمر الفتي ، السيء التسليح ، والمدرب تدريبا بسيطا جدا ، قد استطاع التغلب على قوات مجهزة تجهيزا رائعا ويقودها ضباط خبيرون .

ان المؤرخين البورجوازيين الذين لا يهمهم كثيرا القاءالضوء على الاسباب الفعلية لـ « المعجزة » يفضلون عادة الاشارة الى « مؤاتاة الظروف » و « الدعاية الماهرة للمفوضين الحمر » .

فهل هم على حق ؟ لا يتعلق الامر في الحقيقة بتفسير واقع منعزل هنا ، حيث الحماس المؤقت لجماهير الجنود يكفي لايجاد القرار الحاسم .

ان الاسباب الحقيقية لانتصارات جمهورية السوفيات تكمن في واقع ان مقاتلي وملاكات الجيش الاحمر ، والانصار ، وجميع السوفياتيين كانوا يؤيدون أهداف حكم العمال والفلاحين ويستخدمون ، حتى الامكانية الاخيرة ، للدفاع عنه . وكانوا قد خبروا الاهداف الرجعية والشرهة لاعداء الثورة الروسية . فسياسة السلم ، والصداقة بين الشعوب ، والمشاريع الانشائية للحكومة السوفياتية واهتمام هذه الحكومة بالمصالح الحيوية للاكثرية الساحقة للشعب ، كل ذلك كان يكسب ثقة الجماهير ، ويصهر وحدتها في النضال في سبيل حكم السوفيات ، ويولد الشجاعة ، وبطولة الجماهير ، وروح التضحية .

تثبت تجربة الثورة والحرب الاهلية في روسيا ان شعبا وجيشا يكافحان باسم أهداف سامية وعادلة ، لا يغلبان ، وان المنظمة العسكرية وقوى الشعب الذي أنشأ هذه المنظمة ، تزداد بصورة ملحوظة حين تقودها يد أمينة وحين يوجد على راسها حزب مجرب ، ومتمرس ، ومعتاد على المعارك السياسية ، ومتفان للشعب ، بدرجة الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي الذي انشأه لينين .

فهذا الحرب هو الذي انقذ روسيا من الكارثة ومن الاستعباد من قبل القيصر او الاجنبي (١) .

كانت سياسة الحكم السوفياتي وافكار الثورة شيئا سهل الادراك ومفهوما بالنسبة للاكثرية الساحقة من سكان روسيا . وهذا ما يثبته التفاني الذي أبدوه في النضال سواء على الجبهة او في المؤخرة .

وقد اضطر الجنرال الانكليزي كنوكس ، الذي ساعد بصفة مستشار احد قادة جيش كولتشاك ، اضطر لان يكتب في عام ١٩١٩ الى حكومته ما يلي : « يمكن سحق جيش يتألف من مليون بلشفي ولكن اذا كان الـ ١٥٠ مليون روسي لا يريدون البيض بل الحمر ، فمن الحماقة مساعدة البيض » .

وبالرغم من ان انكلترا ، وفرنسا ، والولايات المتحدة ، والبلدان الاخرى قد قدمت حتى النهاية أوسع مساعدة لها الى البيض ، فمع ذلك فان الجيش الاحمر هو الذي انتزع النصر النهائي ، مستندا الى الشعب بأسره .

ومن وجهة النظر هذه يجدر الرجوع الى راي شولفين عضو دوما الدولة السابق والرجل السياسي البارز في روسيا القيصرية . فبعد العودة الى ماضيه واستعراضه أحداث الحرب الاهلية ، وجد شولفين الشجاعة لان يعترف : « وهكذا فقد كنا مخطئين . فهذا الشعب لم يكن يريد نيل « تحرره » من ايدينا . وبعد أن تذكرت ذلك ، فان جهودنا من أجل قلب الحكم السوفياتي قد بدت لي مفجعة ومضحكة » . هذا الاعتراف قد ادلى به شولفين في « رسالة مفتوحة الى المهاجرين الروس » ، نشرت

---

(١) كتب الصحفي الاميركي جون ريد ، الذي كان قد شهد في بطرسبورج انتصار ثورة اوكتوبر ، كتب في اول كانون الثاني ١٩١٩ فى مقدمة مؤلفه « ١٠ ايام هزت العالم » : « ان البلاشفة الذين هم أبعد من أن يكونوا قوة مدمرة ، كانوا ، كما يبدو لي ، في روسيا الحزب الوحيد الذي يحوز برنامجا انشائيا ويستطيع فرض هذا البرنامج على البلاد . ولو انهم لم ينتصروا في الوقت الذي فعلوا فيه ذلك ، فليس هناك ادنى شك بالنسبة لي ان جيوش المانيا الامبريالية كانت ستدخل بطرسبورج وموسكو في كانون الاول وانه كان سيكون هنالك اليوم ، قيصر يصول ويجول في روسيا .

في خريف ١٩٦٠ في صحيفة روسكي ـ غولوس ، الصحيفة الروسية الصادرة في نيويورك ..

ان السوفياتيين في نضالهم ضد أعداء الثورة لم يكن في وسعهم الاعتماد فقط على قواهم الخاصة . الا ان الطابع الشعبي للثورة الروسية ، والسياسة الخارجية السلمية للحكومة السوفياتية ، قد ايقظا عطف ملايين الناس في مختلف بلدان العالم . ونجد بادرة من ابرز بادرات التضامن الاممي للشغيلة مع جمهورية السوفيات في واقع ان الجيش الاحمر كان يضم ألوف المتطوعين الاجانب : مجريين ، وصربيين ، وتشيكيين ، وسلوفاكيين ، وصينيين ، والمانا ، وكوريين ، وبولونيين ، وبلغاريين الخ . ان بعض هؤلاء المكافحين الامميين قد خلدوا أسماءهم بشجاعتهم وبطولتهم : الصربي اوليكو دوندك ، والتشيكي جاروسلاف ـ هاسيك ، والمجري مات زالكا . وكثيرون غيرهم . وقد ضحى الكثيرون منهم بحياتهم في المعركة . ان السوفياتيين العارفين للجميل لن ينسوا ابدا مآثرهم وتضحياتهم .

وفي صراع لا يرحم مع أعداء أقوياء ووسط مصاعب لا يصدقها العقل انما نشأ وترعرع ونضج الجندي السوفياتي ، ابن شعبه البار .

ان الطابع الشعبي لجيش الاتحاد السوفياتي يجد تعبيرا له في المنشأ العمالي والفلاحي لجنوده ولضباطه ، وفي تفانيهم دون تراخ لقضية الشغيلة ، وفي الوحدة الوثيقة بين الجيش والشعب ، وفي وحدة أهدافهم ، وفي حالاتهم النفسية وأمانيهم .

« انا ، ابن الشعب الشغيل ، لدى دخولي الى صفوف الجيش الاحمر ، جيش العمال والفلاحين ، أتعهد على رؤوس الاشهاد ... » ، هذه الصيغة للقسم العسكري تعكس بوضوح المنشأ الاجتماعي لجيش الشعب المظفر .

الجندي السوفياتي عشية الحرب العالمية الثانية

في نهاية عام ١٩٢٠ ، كان القسم الاساسي من قوات البيض والمتدخلين قد صفي . وفي عام ١٩٢٢ ، بعد طرد العسكريين اليابانيين من الشرق الاقصى السوفياتي تحررت كامل اراضي

روسيا السوفياتية من الاعداء . ان البلاد التي نضبت دماؤها ، قد حصلت اخيرا على امكانية تكريس نفسها لمهام سلمية . ان اللوحة التي كانت تبرز امام مكافحي الجيش الاحمر لدى عودتهم الى مدنهم وقراهم كانت لوحة محزنة بصورة عميقة . وكان كل شيء مقلوبا راسا على عقب . فاكثرية المعامل والمصانع قد توقفت . وقد اغرقت المياه المناجم ، وكانت النقليات فيمجملها غير صالحة للعمل . وكانت الزراعة متلاشية . ونتيجة لذلك ، فان قسما كبيرا من المناطق الاكثر خصبا في البلاد قد عرفت في عام ١٩٢١ محصولا رديئا جدا . وقد ساد الجوع . فالمنتجات الضرورية جدا كالخبز ، والملح ، والنفط ، وحتى الكبريت كانت مفقودة . ان التيفوس ، الملازم الطبيعي للجوع ، كان يودي بحياة الوف الاشخاص .

وقامت الحكومة السوفياتية بتسريح عام لخمسة ملايين رجل كانت تحتفظ بهم حتى ذلك الوقت في خدمة العلم . وقررت تخفيض جيشها بنسبة عشر مرات على نحو يمكنها من استعادة القسم الاكثر قدرة على العمل بين السكان الذكور .

هل كان بوسع الاتحاد السوفياتي أن يسرح بصورة كاملة جيشه بعد الحرب الاهلية ؟ ان ذلك كان من الممكن أن يكون بمثابة فرج ملحوظ بالنسبة للشعب الذي كان يعاني مصاعب اقتصادية خطيرة ويفتقر الى ملايين الاذرع . ولكن بالرغم من تطلع الاتحاد السوفياتي الصادق الى نزع السلاح ، فلم يكن يستطيع أن يحل من جانب واحد قواته المسلحة . وكانت البلاد محاطة من كل جهة بالدول العدوة التي لم تكن تخفي حقدها على الاشتراكية . وكان الهدوء ابعد من أن يكون سائدا على الحدود التي كان طولها ، على البر فقط ، يزيد عن ٢٠ الف كلم . وكانت تجري فيها أحيانا كثيرة اصطدامات واحتكاكات . وقد ضاعف الجواسيس والمخربون نشاطهم ضد الاتحاد السوفياتي . وقد احتشد الوف المهاجرين البيض ، اللاجئين الى البلدان المجاورة ، في منظمات شبه عسكرية وكانوا يتحينون الفرصة للثأر . وكان يشجعهم على ذلك الاتجاه المعادي للسوفيات في السياسة الخارجية للدول الراسمالية الرئيسية التي كانت تسعى لعزل الاتحاد السوفياتي ولم تكن على عجلة من امرها ابدا للاعتراف رسميا بجمهورية

السوفيات . فالولايات المتحدة مثلا انتظرت حتى عام ١٩٣٣ كي تقيم علاقات دبلوماسية مع الاتحاد السوفياتي .

وكان على الشعب السوفياتي ان يعيش ويعمل بشكل ما ، قلعة في حالة حصار .

وهذه المصاعب لا يمكن أن تفهمها جيدا الا شعوب البلدان التي سلكت مؤخرا طريق الاستقلال الوطني والتي ناضلت في سبيل الدفاع عنه ضد الرجعية الداخلية ، والتخلف الاقتصادي، ومحاولات المستعمرين (بكسر الميم) المستمرة لعرقلة بناء حياة جديدة . الا انها تتمتع مع ذلك بميزة انها لم تعد وحيدة كما كان الحال آنذاك بالنسبة للاتحاد السوفياتي . وهي تعلم انها تستطيع الاعتماد ليس فقط على التأييد المعنوي بل ايضا على المساعدة المادية للشعوب التي سبق ان تحررت ، وبالدرجة الاولى على شعوب البلدان الاشتراكية .

وفي مثل هذا الوضع الداخلي والخارجي المتوتر الى اقصى حد ، شرع السوفياتيون في تحقيق مشروعهم الجبار للتحولات الاجتماعية ، والاقتصادية ، والثقافية . وكان لينين قد وصف على النحو التالي العناصر الرئيسية لهذا المشروع :

— تصنيع البلاد ، وانشاء صناعة متطورة ، صناعة انشاءات ميكانيكية ؛

— تجميع قطع الارض الفلاحية الصغيرة القليلة الانتاجية في تعاونيات مزودة بالماكينات الحديثة ؛

— الثورة الثقافية ، تطوير العلم العام .

وقد لمس بقوة تأخر البلاد وكذلك تبعيتها البالغة القدم تجاه البلدان الصناعية . ومع ذلك فقد استطاع السوفياتيون ان يحرزوا في مهل قصيرة جدا نجاحات أدهشت العالم . ولم يكتفوا بالعودة الى مستوى الانتاج الصناعي والزراعي لما قبل الحرب (الذي كان مستوى بلاد زراعية ومتأخرة) بل اعطوا الى مجموع القطاعات (الى الصناعة الثقيلة بالدرجة الاولى) زخما شديدا الى حد انهم لم يلبثوا أن تمكنوا من التحرر بصورة كاملة من التبعية التكنيكية والاقتصادية تجاه البلدان الاخرى وتوفير ظروف تحسين جذري لمستوى الحياة المادي للشعب وللطاقة الدفاعية للبلاد .

ونظرا لان الهدف الاخير ظل حياة افضل للناس ، فمن

الجلي ان قاعدة مادية وتكنيكية متينـــة كانت تتيح ايضا تعزيز دفاع البلاد على نحو حاسم ، وتزويــد جيشها بالمعدات الحديثة وزيادة كفاحيتها .

ماذا كانت منجزات الشعب السوفياتي قبل الحرب ؟ اليكم بعض الارقام البليغة :

انتاج :	١٩١٣	١٩٤٠
	(بملايين الاطنان)	
فولاذ	٤،٣	١٨،٣
حديد صب	٤،٢	١٤،٩
نفط	١٠،٣	٣١،١
فحم	٢٩،٢	١٦٥،٩
قمح	٨٠،١	٩٥
قطن	٠،٧	٢،٢
طاقة كهربائية (بمليارات الكيلو واط)	٢،٠	٤٨،٣

اما مــن حيث الانشاءات الميكانيكية ، فقــد ازداد انتاجها خمسين مرة .

ان الارقام التي أعطيناها تتيح تحـــديد القاعدة التكنيكية والاقتصادية التي كان يحوزها الاتحــاد السوفياتي وجيشه فــي الوقت الذي أرغمهما فيه النازيون على الدخول في الحرب . وفي وقت الغزو ، كان الشعب السوفياتي قد سبق أن تسنى له الوقت لتكوين القطاعات الاساسية للصناعة الحربيـــة الحديثة : انتاج الطائرات ، والدبابات ، وقطـــع المدفعية ، والسفن . وكان تطور البحث بضمن من جانبه ايجاد نمــاذج جـــديدة من الطائرات ، والسفن ، والدبابات ، والمدافع ، ومـــدافع الهاون ، والاسلحة الفردية ، واجهزة الاتصال والقيادة .

وحين نلقي نظرة على الطريق الذي تم اجتيازه ، فليس من الصعب تصور ما كان سيحل بشعوب الاتحاد السوفياتي وجميع اولئك الذين ساعدهم السوفياتيون خلال الحرب العالمية الثانية ، لو لم يكن تحت تصرف الاتحـــاد السوفياتي اقتصـــاد متطور ، وجيش كفاحي ، واحتياطيات كافية لتعويض الخسائر المستمرة الناتجة عن الحرب .

واذا كان هناك من شيء جلي بالنسبة للسوفياتيين ، فهو ان زيادة القدرة الاقتصادية والعسكرية لوطنهم قد اظهرت بوضوح مزايا النظام الجديد ، الـذي يجهل فوضى الانتاج والازمات الاقتصادية ، والذي يقوم على تنظيم مبرمج للاقتصاد ويتطور في مصلحة الشعب بأسره . وليس ذلك جدلا تجريديا بل ضرورة حيوية أثبتتها دروس التاريخ القاسية (١) .

لكن ذلك ليس سوى أحد جوانب المسألة التي تعنينا . والجانب الاخر يتكون بالتأثير الذي مارسته التحولات الاجتماعية، والاقتصادية ، والثقافية التي طرأت على السكان السوفياتيين ، وبالتالي على محاربي الجيش .

لنأخذ مثلا العلاقات بين الامم ، التي هي شديدة الاهمية بالنسبة لدولة متعددة القوميات مثل الاتحاد السوفياتي . فالنظام القيصري كان يضطهد الاقليات ويبقيها في وضع اقتصادي وثقافي أدنى .

ومنذ الايام الاولى لوجوده ، أعلن الحكم السوفياتي ، ووضع موضع التطبيق ، مبدأ المساواة التامة بين جميع امم وشعوب الاتحاد السوفياتي . وقد شرع بتكوينها بروح الصداقة ، والمعونة الاخوية ، والوحدة في عائلة موحدة لشعوب تبني معا حياة جديدة.

لا وجود في الجيش السوفياتي لمسألة قومية . فعسكريو أية قومية أو عرق ، جميعهم مواطنون لبلادهم على قدم المساواة. ويمكن أن يعهد اليهم بأية قيادة من القيادات دون تمييز . وجميع الجنود والضباط لديهم تماما نفس الفرص في أن يقبلوا في المدارس والاكاديميات العسكرية . ويكفي من أجل ادراك ذلك أن يدرس الشكل الذي تعطى فيه حسيا الرتب والاوسمة .

ان الانتشار الكامل للتعليم لدى الشعب السوفياتي (مقابل

---

(١) اشار جواهر لال نهرو في كتابه « اكتشاف الهند » ان المثال المحفز للشعب السوفياتي في الحرب العالمية الثانية ، « والقوة والوحدة اللتين ابداهما ، تجد تفسيرا لها دون شك في افضليات النظام الاجتماعي والاقتصادي الذي ضمن التقدم على نطاق واسع في حقل الانتاج والاستهلاك المبرمج ، والذي حث التطور وتطبيقات العلم ، والقى ضوءا على الينابيع الجديدة للمهارة والقيادة ، والذي ضمن قيادة رائعة للبلاد » .

اربعة اخماس السكان من الاميين في ظل الحكم القيصري) ، والتطور الواسع للتعليم الثانوي والعالي ، وتحسين معارف العلوم الانسانية والتكنيكية لملايين الشبان الذين أصبحوا قادرين اخيرا على ارواء تعطشهم الى الثقافة والمتعة الفنية ، ونشر التربية البدنية والرياضة ، كل ذلك رفع على نحو ملموس مستوى التكوين العام والتخصص للمجندين الشباب . ان المجندين كانت لديهم تسهيلات اكبر لتعلم استعمال الاسلحة والمعدات الحديثة ، ولتمثل المعارف الضرورية .

ان الجيل الجديد الذي نشأ بعد ثورة اوكتوبر قد ربي بروح التفاني لوطنه السوفياتي ، وبالنزعة الانسانية والاحترام تجاه شعوب البلدان الاخرى ، ولقن بأن لا يبخل بأية تضحية باسم الاهداف المشروعة .

وهذا هو في الواقع الموقف الذي اتخذه جنود الجيش الاحمر لدى دفاعهم عن الحدود السوفياتية ضد العسكريين اليابانيين فى معارك خاسان (١٩٣٨) ، ونهر خالخين ـ غول (صيف ١٩٣٩) ، واثناء الحرب السوفياتية الفنلندية في شتاء ١٩٣٩ ـ ١٩٤٠ .

وكما ان الوف الامميين كانوا قد جاؤوا لمساندة السوفياتيين اثناء الحرب الاهلية ، فقد هرع الجنود السوفياتيون بدورهم لنجدة شعوب تخوض معركة عادلة ضد الغزاة .

ان شعورا بالتضامن الانساني هو الذي املى مثلا السلوك على المتطوعين السوفياتيين الذين حاربوا بجانب الشعب الاسباني في عام ١٩٣٦ ضد الفاشية .

بل وحتى قبل بداية الحرب العالمية الثانية ، فان سوفياتيين عديدين ، وبصورة خاصة طيارين ، قد انضموا الى الشعب الصيني المناضل ضد المحتلين اليابانيين .

وفي مدينة وو ـ هان ، على ضفاف نهر اليانغ ـ تسي ، شيد صرح في حديقة التحرر ، يحمل بأحرف من ذهب الكلمات التالية : « الى متطوعي القوات الجوية السوفياتيين ، الذين ماتوا ميتة الابطال دفاعا عن حرية الصين » . ويغطي هذا الصرح ضريح ١٥ طيارا سوفياتيا عمر اكبرهم ٣١ عاما واصغرهم ٢٢ عاما .

وقد اباد الطيارون السوفيات في سماء الصين الشقيقة

مئات الطائرات العدوة وانقذوا بذلك حياة الكثيرين من الصينيين الذين كانت تستهدفهم أعمال القصف البربرية للطيران الياباني .

ان قيمة السوفياتيين كرجال وكمحاربين تجلت بصورة خاصة في الحرب العالمية الثانية . فالاحداث التي سبقت النزاع أتاحت التنبؤ بأن الجنود السوفياتيين سيبرزون فيه بمثابة « الانسان الجديد تحت السلاح » ، الذي تجتمع لديه المزايا العسكرية الصرف مع وعي الواجب الاخلاقي والاحساس بالكرامة الانسانية .

من موسكو الى برلين

فلنراجع بعض صفحات التاريخ المهمة للحرب العالمية الثانية

الفاشية هي الحرب

ان الهتلريين المتعطشين للسيطرة العالمية والراغبين ، بفارغ الصبر ، في اقامة « نظامهم الجديد في كل مكان في أوروبا ، لم يلبثوا ، بعد وصولهم الى الحكم ، ان شرعوا في اعداد وشن حروب عدوانية . ولن نتوقف كثيرا على بحث مختلف الاسباب والظروف التي قررت نجاحات الفاشيين بالرغم من انه يوجد امام الشعوب اكثر من درس يجب أن تستخلصه من ذلك . وسنكتفي بذكر بعض الوقائع :

اذار ١٩٣٨ . أعطت عملية **أوتو** الى النازيين النمسا التي ابتلعوها بواسطة « الانشلوس » .

خريف ١٩٣٨ شرعت المانيا في تحقيق المشروع الاخضر : الهجوم العسكري على تشيكوسلوفاكيا . وقد أتاح لها التفاهم الذي توصلت اليه في مونيخ مع انكلترا ، وفرنسا ، وايطاليا أن تلحق ، دون طلقة واحدة ، السوديت ، ثم في اذار ١٩٣٩ ، ما تبقى من البلاد . في أول ايلول ١٩٣٩ سجل غزو بولونيا بداية الحرب العالمية الثانية . وقد وقع الشعب البولوني في قبضة المعتدين . ولم يتلق أية مساعدة فعالة من انكلترا ، وفرنسا اللتين وجدتا نفسيهما آنذاك منجرتين الى الحرب بفعل معاهدات التحالف التي عقدتاهما .

١٩٤٠ . احتل النازيون الدانمارك والنروج ، ثم هولندا ،

وبلجيكا ، وفرنسا . وعلى هـــذا النحو اخضعوا لنيرهم بضـــع عشرات الملايين الاخرى من الاوروبيين .

وفي ربيع ١٩٤١ جاء دور اليونان ويوغوسلافيا .

ان الزعماء الهتلريين الذين أسكرتهم نجاحاتهم تجاه بلدان ضعيفة ، فقدوا صوابهم . وقد أصبح تحت تصر[illegible] بعـــد ذلك قدرة اقتصادية وعسكرية هائلة ، واحتياطيا[illegible] [illegible] بالاسلحـــة والمعدات ، وموارد في الرجال في اوروبا الوسطى كلها . وكـــان الحكام الرجعيون في المجر ، ورومانيا ، وفنلندا قد وقفوا الى جانبهـــم .

واليكم بعض الارقام التي تبين بالتحديد طاقات انتاج المانيا الهتلرية عشية العدوان ضد الاتحاد السوفياتي :

	المانيا لوحدها	مع الدول التابعة والبلدان المحتلة
السكـــان (بالملايين)	٧٠،٢	٢٩٠،٠
يد عامـــلة صناعيـــة (بملاييـــن السكـــان)	١٠،٠	٢٨،٠
فحم (بملايين الاطنان)	٢٥٧،٤	٤٠٠،٠
نفط (بملايين الاطنان)	٠،٩	٧،٥
فولاذ (بملايين الاطنان)	٢٠،٨	٣١،٨

مشروع بربروس

بعد استسلام فرنسا فان الهدف المباشر للسياسة الخارجية والعسكرية لالمانيا الهتلرية ، أصبح اعداد غزو الاتحاد السوفياتي . ان المشاريع التي طالما جرى التبجح بها حـــول النزول في انكلترا قد أجلت الى اجل غير مسمى . وتلقت القيادة العليا الالمانية الامر بدراسة مشروع ستراتيجي للحرب ضد الاتحـــاد السوفياتي . وقد اشتدت حركات القـــوات وشكلت فرق جـــديدة ، وخاصة فرق مدرعة .

وفي ١٨ كانون الاول ١٩٤٠ ، كان المشروع جـــاهزا ، وقد أعطي اسم بربروس المستعار ، وهو لقب امبراطور المانيا فريدريك الاول (١١٢٣ ــ ١١٩٠) الذي اشتهر بحملاته الدموية التي كانت

ابعد من أن تكون دائما لمصلحته .

ان التوجيه رقم ٢١ ، الذي كرست بموجبه القيادة العليا الالمانية مشروع بربروس ، كان ينطوي على ما يلي : « على القوات المسلحة الالمانية ان تكون مستعدة للقضاء على روسيا انسوفياتية في حملة سريعة تشن قبل نهاية الحملة ضد انكلترا » . وقد كانت الفكرة الاساسية لمشروع العمليات كما يلي : « ان جماهير الجنود الروس المرابطين في القسم الغربي من روسيا يجب ان يبادروا بطائفة من العمليات الجريئة باستخدام أعمال الخرق العميقة للمدرعات . . . والهدف النهائي للعملية الاحتماء من روسيا الاسيوية على خط ارخنجلسك ـ فولغا » .

واليكم كيف اعتزمت هيئة الاركان الفاشية شن الحرب ضد الاتحاد السوفياتي . فقد كان أقل ما هدفت اليه هو ابادة الاتحاد السوفياتي . وقد تبجح هتلر بذلك علنا في مؤتمر مع قادةالجيش النازي اذ قال : « يكفينا سحق الجيش الروسي والاستيلاء على ليتينغراد ، وموسكو ، والقفقاس . ويتوجب علينا محو هذه البلاد من الخارطة وابادة شعبها » .

وكان قد شرع قبل وقت طويل بالاعداد السياسي والمعنوي للعدوان . ان هتلر وانصاره مع تسميتهم أنفسهم ب « الوطنيين الاشتراكيين » من أجل خداع الجماهير على نحو أفضل ، كانوا في الواقع أعداء الداء لكل اشتراكية . وقد كانوا يشعرون بحقد شديد تجاه أول دولة اشتراكية في العالم ، تدعمهم في ذلك قوى الرجعية العالمية . ومن اجل تبرير تعطشهم الى الفتوحات ، لجأ النازيون الى نظرية تجعل من الآريين عنصرا اعلى ، ومن السلافيين اناسا من جنس أدنى ، لا يصلحون الا ليكونوا عبيدا للالمان . وقد اعلن كتاب **كفاحي** صراحة اذا كان الامر يتعلق باستعادة اراض جديدة فيأوروبا ، فيجب أن يكون ذلك بصورة رئيسية علىحساب روسيا . فالرايخ الالماني الجديد يجب أن يوجه في هذه الحالة حملاته على طول الطريق المرسوم منذ زمن بعيد من قبل الفرسان التوتونيين .

ويمكن معرفة المصير الذي أعده الهتلريون لشعوب آسيا وافريقيا ، وفقا لعزمهم في التوغل ، بعد كسب الحرب الصاعقة ضد روسيا ، في الشرقين الادنى والاوسط ، وفي افريقيا وحتى

في الهند . وقد كانوا واثقين من النصر على الاتحاد السوفياتي الى حد انه حتى قبل بداية الحرب ، وضعوا توجيهاً خاصاً تحت رقم ٣٢ ، أطلقوا عليه اسم : « الاستعداد للفترة التي ستعقب تحقيق عملية بربروس » . وكان هذا التوجيه ينص على الاستيلاء على جبل طارق وارسال حملة عسكرية آلية عن طريق بلاد ما عبر القفقاس في اتجاه الخليج ، والعراق ، وسوريا ، ومصر .

وقد شجع هتلر ومعاونوه المباشرون الجيش بالاعراب عن « ايمانهم المطلق » بانتصار سريع وسهل نسبيا .

وفي ٥ كانون الاول ١٩٤٠ ، في مؤتمر للملاكات العليا الالمانية ، أعلن هتلر دون مواربة : « ينبغي توقع أن يمنى الجيش الروسي ، لدى أول صدمة من قبل القوات الالمانية ، بهزيمة اعظم أيضا من هزيمة الفرنسيين في عام ١٩٤٠ » .

في حديث مع الدبلوماسي الياباني ماتسووكا ، أعلن وزير خارجية المانيا ريبنتروب ، في ٢٧ اذار ١٩٤١ : « ان جميع الناس على ثقة في المانيا بأن الحرب مع روسيا ستنتهي بالانهيار النهائي للجيوش الروسية وتدمير النظام السوفياتي » . وقد تجاوب معه الجنرال جودل في مؤتمر عقد في برختسفادن قبل شن العمليات بمدة قصيرة اذ قال : « بعد ثلاثة أسابيع من الهجوم فان كل شيء سينهار ككومة من البطاطا (1) .

لم يمنع الهتلريين ميلهم للمغامرة واستصغارهم لشأن القوات السوفياتية من الاستعداد بعناية شديدة للعمليات في الشرق . ومن اصل ٨ ملايين رجل كانوا تحت تصرفهم وقت شن الاعمال العسكرية ، كانوا يعتزمون أن يقذفوا بـ ٥ ملايين منهم ضد الجيش السوفياتي ، أي ١٥٣ فرقة من أصل ٢١٤ فرقة

---

(1) اعربت شخصيات سياسية وعسكرية عديدة غربية هي أيضا عن شكوكها في طاقة المقاومة لدى الجيش السوفياتي وتنبات بهزيمته . وهكذا فقد كتب ونستون تشرشل في مذكراته : « ان جميع المسؤولين العسكريين تقريبا كانوا يؤيدون وجهة النظر القائلة بان الجيوش الروسية ستهزم وانه سيباد القسم الاكبر منها » . وقد خلص مؤتمر من قادة العسكريين الاميركيين اشترك فيه مارشال ، الى الاستنتاج بأن الاتحاد السوفياتي سيسحق « في ظرف شهر كحد ادنى ، وفي ظرف ثلاثة اشهر كحد اقصى » . وقد كان هذا الراي موضوع برقية لوكالة اسوشيتدبريس .

كانت ستنضم اليها ٣٧ فرقة من الدول التابعة ، المجر ، ورومانيا، وفنلندا . وهكذا فان الاتحاد السوفياتي كان سيجابه ما مجموعه ١٩٠ فرقـة .

ان جيش الغزو المقسم الى ثـــلاث مجموعات كان عليه ان يضرب في ثلاثة اتجاهات : اتجــــاهات لينينغراد ، وموسكو ، والجنوب ، وان يضع خارج المعركة القسم الاكبر مــن القــوات السوفياتية وأن ينهي الحرب قبل الشتاء .

بداية الحرب

في مســـاء يوم السبت ، ٢١ حزيران ١٩٤١ ، كان عمال المطبعة ينضدون احرف افتتاحية عدد « البرافدا » الذي سيصدر في اليوم التالي ، المكرسة للمدرسة . الجنائن والحدائق العــامة اخذت تمتلىء بالشبان ، وسط الموسيقى والقهقهات . وكان من الممكن ان يشاهد بين الجمهور المبتهج عدد كبير من الجنود والضباط بلباس الاستعراض . وكان الفلاحــون يستعدون لجمع محصول وفير جدا . وكان شغيلة بلاد السوفيات ، شأنهم دائما ، لا يفكرون بغير الســلم .

ان قوات التغطية لم تكن تعــلم ، شأنها شأن السوفياتيين الاخرين ، ان هتلر قد استدعى في أول أيار ١٩٤١ سفير اليابان في برلين ليبلغه بأن المانيا ستهاجم الاتحاد السوفياتي فــي ٢٢ حزيران . ولم يكونوا يعلمـــون أيضا بأن مــوظف الاستخبارات السوفياتي الشهير ريشار سورج ، كان قـــد أبلغ في ١٢ أيار موسكو ، بواسطة الشيفرة من طوكيو ، ما يلي : « لقــد حشدت ١٧٥ فرقة على الحدود السوفياتية . سيبدأ الهجوم على الجبهة كلها في ٢٠ حزيران . الهدف الرئيسي موسكو » .

وكانوا يجهلون بأنه في نفس ذلك المساء من يوم السبت ، من ضفاف المحيط المتجمد الشمالي الى ضفاف البحر الاسود ، كان الويهر ماخت ينجز استعداداته الاخيرة . ان الجنود والضباط الالمان ، الذين انتزعوا منذ زمن طويل مــن بين عائلاتهم ، والذين أسكرتهم انتصاراتهم السهلة ، والذين هيجتهم الدعاية النازية ، كانوا متشوقين للاندفاع الى المعركة . وكانوا قد وعدوا بانتصار سريـــع وغنائم وفيرة . وقد اقنعـــوا بأن الحرب ضد الاتحاد

السوفياتي ستكون نزهة تعود عليهم بالثروة والمجد . وكانوا على استعداد لخوض المعركة .

في ٢٢ حزيران في الساعة الثالثة والنصف صباحا : افرغت مئات القاذفات حمولاتها فوق منسك ، وكييف ، وكوناس ، وسمولنسك، وسيباستوبول ، وموغيليف . وقد توغلت الوف الدبابات داخل الاراضي السوفياتية. واطلقت المدفعية نيرانا جهنمية على وحدات الحدود والاحتياطيات الاولى . ووسط الموسيقى العسكرية اعلنت اذاعة برلين بفخفخة بداية « الزحف العظيم نحو الشرق » ، و « الصفحة المجيدة الجديدة من تاريخ الرايخ الثالث » .

... الحرب ! سرت هذه الكلمة الرهيبة بسرعة البرق في مدن وقرى بلادنا ممزقة قلب ملايين السوفياتيين ، قلب جميع اولئك الذين كانوا يعلمون اي خطر تعنيه بالنسبة لحياتهم ، ولحريتهم ، ولاستقلال دولتهم التي أسسوها بذلك القدر من المشاق .

وكان ذلك من جانب المانيا عدوانا مبينا صارخا ليس له ما يبرره. ومن المعلوم انه في آب ١٩٣٩ عقد بين الاتحاد السوفياتي والمانيا ميثاق عدم اعتداء راعى الاتحاد السوفياتي دائما كل بنوده بدقة . لكن الزعماء الفاشيين لم يكونوا يهتمون ابدا بالمعاهدات التي وقعوها الى حد انهم لم يكلفوا أنفسهم حتى عناء تبرير غدرهم بهذه الحجة الشكلية او تلك ، من نوع الحجج التي تختلق في مثل هذه الحالات من اجل ايجاد الاعذار (١) .

---

(١) الا انه من اجل تضليل الرأي العام ، فان الدوائر الهتلرية قد اعتمدت صيغة « الحرب الوقائية » ضد الاتحاد السوفياتي الذي كان يستعد على زعمها لمهاجمة المانيا . وقد اعترف الداعية الالمانية الشهير ، فريتش ، في محاكمة نورمبرغ : « لم يكن لدينا اي واقع يسمح لنا باتهام الاتحاد السوفياتي باعداد هجوم ضد المانيا » .

وقد كتب المؤرخ الالماني الغربي جيرهارد ريختر ، في صحيفة « شتوتغارت زايتونغ » ، في ٢٢ حزيران ١٩٥١ : « ينبغي الخلاص مرة اخيرة من الاسطورة النازية الزاعمة بان الحرب ضد روسيا كانت حربا وقائية ، وانها كانت بمثابة تدبير دفاعي ضد عدوان سبق ان اعد ... لقد كانت حربا لا من اجل الدفاع عن اوروبا ، بل من اجل السيطرة على القارة كلها » .

لقد أرغم الشعب السوفياتي الذي كان يرغب مخلصا في ان يعمل بسلام ، على امتشاق السلاح للدفاع عن وطنه من خطر الاستعباد الفاشي . هكذا بدأت الحرب الوطنية الكبرى للاتحاد السوفياتي ضد الغزاة الهتلريين .. لقد كانت حربا عادلة ، لكنها كانت أيضا من اقسى الحروب التي سبق أن خاضتها شعوب روسيا . ولم يكن هدفها فقط تحرير اراضي الاتحاد السوفياتي المحتلة من قبل العدو والدفاع عن استقلال الدولة السوفياتية فحسب ، بل كان أيضا نجدة شعوب البلدان الاخرى الخاضعة لوصاية البرابرة الفاشست . وهكذا فقد اندمجت معركة الشعب السوفياتي مع النضال التحرري لملايين سكان اوروبا ، وآسيا ، وافريقيا .

ان الطريق الذي قاد الشعب السوفياتي الى النصر كان طريقا طويلا وشاقا جدا . وخلال حوالي اربعة أعوام كانت مساحات واسعة من اوروبا الشرقية مسرح معارك جبارة لم يسبق ان عرف العالم لها مثيلا . فان تدمير الماكنة الحربية النازية القوية قد تطلب من الشعب السوفياتي ومن جنوده جهودا وتضحيات ملحوظة .

اسباب النكبات السوفياتية الاولى

بدات الحرب على نحو غير ملائم الى أقصى حد بالنسبة للاتحاد السوفياتي . وبالرغم من ان الهتلريين لم يستطيعوا تحقيق مشاريعهم بكاملها ، فان قواتهم قد أحرزت خلال الاشهر الاربعة الاولى من حملة صيف ١٩٤١ نجاحات تكتيكية هامة . وقد خرقت دفاع الاتحاد السوفياتي على المحاور الرئيسية ، وبالرغم من مقاومة الجيش الاحمر الضارية ، توغلت توغلا عميقا في الاراضي السوفياتية .

وفي بداية تشرين الثاني ١٩٤١ ، كان الفاشيون على مقربة من موسكو ولينينغراد ، وكانوا قد استولوا على جنوب البلاد كله حتى الدون . ان الاراضي التي احتلت في خريف ١٩٤٢ كانت تضم قبل الحرب ٤٠ ٪ من مجموع سكان البلاد ، وكان ينتج فيها ٦٣ ٪ من مجموع الفحم ، و ٦٨ ٪ من حديد الصب ، و ٥٨ ٪ من الفولاذ ، و ٦٠ ٪ من الالومنيوم ، وحوالي ٤٠ ٪ من حبوب

الاتحاد السوفياتي كله . ونتيجة لهذه الخسائر فان الانتـــاج الصناعي غير الصافي قد هبط مـــن حزيران الى تشرين الثاني ١٩٤١ ، من نسبة ٢،١ الى ١ ، وانخفض انتاج الفولاذ من ١٨ مليونا الى ثمانية ملايين طن . وقد اصبح الاتحـاد السوفياتي وجيشه في وضع حرج .

كيف يمكـن أن يفسر واقع ان المعتـــدين قد استطاعوا ان يسجلوا ، أمام بلاد قوية مثل الاتحـــاد السوفياتي ، بمثل ذلك الوقت القصير ، مثل تلك النجاحات وان يقرعوا جدران موسكو ؟ من الصعب الاجابة على هذا السؤال في عبارة واحدة . وسنسعى مع ذلك جاهدين لان نسرد فيما يلي الاسباب الرئيسية :

بالدرجة الاولى ، التفوق المؤقت بالرجال والمعدات وبصورة رئيسية على المحاور الاساسية . وقد سبق ان قلنا ان خمســة ملايين رجل ، أي ١٩٠ فرقة (منها ٣٠ فرقة مدرعة وآلية) ، كانت قد قذفت ضد الاتحاد السوفياتي ، مع اكثر من ثلاثة الاف و ٤١٠ دبابات ، وما لا يقل عن ٥ آلاف طائرة ، واكثر من ٥٠ الف مدفع ومدفع هاون .

ان قسما كبيرا من القوات المستخدمة كان لديه خبرة في الحرب الحـــديثة مع تدخل مجموعات كبيرة مـــن المدرعات والطائرات . وكانت في خدمة الجيش الهتلري الصناعة الحربية لقسم كبير من اوروبا وملايين عمال البلدان المحتـــلة من قبل المانيا ، الذين كان وجودهم يسمح بأن يدعى الى خدمة العلم أكبر عدد ممكن من الالمان . وقد كان اقتصاد المانيا والدول التابعة لها قد وضع سلفا في حالة التعبئة واخضع بصورة كاملة لاعـــداد حرب عدوانية . ان الاختيار « بين الزبدة والمدافع » كان قد تم منذ زمن بعيد .

ومن وجهة النظر الستراتيجية ، فتنبغي الاشارة الى ان الجيش الالماني كان قد أجرى سلفا ، في أقصى درجة من السرية، استعداداته الاخيرة وحشده وفقا للمحاور الهجومية. وقد ساهم في ذلك الجو السياسي والعسكري لذلك الوقت ، وكذلك بعض عمليات الالهاء الدبلوماسية والعسكرية للحكومة النازية .

ان أحد العوامل الحاسمة ، ولو انه ذو طابع عرضي ، كان الصفة المباغتة للهجوم . وكان امتلاك طيران وفير العدد ووسائل

عمل سريعة الحركة مثل الدبابات في البلدان الاوروبية المجهزة بشبكات طرق جيدة ، قد اعطى للهتلريين أفضلية ضخمة .

ولا يمكن تجاهل واقع ان الهتلريين لم يكونوا يشعرون بأي قلق بالنسبة لمؤخراتهم . فان الطريقة التي كانت الدول الغربية ، وخاصة انكلترا قد أعدت وخاضت بها الحرب ، كانت تسمح للالمان بأن لا يخشوا جانبها وان يستخدموا في الشرق القسم الاكبر من قواتهم .

ولم يكن النازيون مخطئين أبدا في توقع موافقة الاوساط الرجعية الغربية على العمليات ضد الاتحاد السوفياتي . وفي الواقع فحتى انفجار الحرب ، فقد كانت سياسة هذه الاوساط ، سياسة تشجيع للرغبة الانتقامية لدى المانيا الهتلرية وتحريضها ضد الاتحاد السوفياتي . وقد دفعت ثمن ذلك شعوب النمسا . وتشيكوسلوفاكيا ، وبلجيكا ، وهولندا ، وبولونيا ، وغيرها من

الجبهة نمر على مقربة موسكو ١٩٤١ .



البلدان . وجنت انكلترا نفسها ، وعلى الاخص فرنسا ، الثمار المرة للسياسة المونيخية التي جعلتهما تتجنبان اتخاذ التدابير الضرورية ، في الوقت المناسب ، من اجل اعادة المعتدين الى صوابهم ، وانشاء نظام أمن جماعي في أوروبا ، كان الاتحاد السوفياتي قد عمل الشيء الكثير في سبيل انشائه .

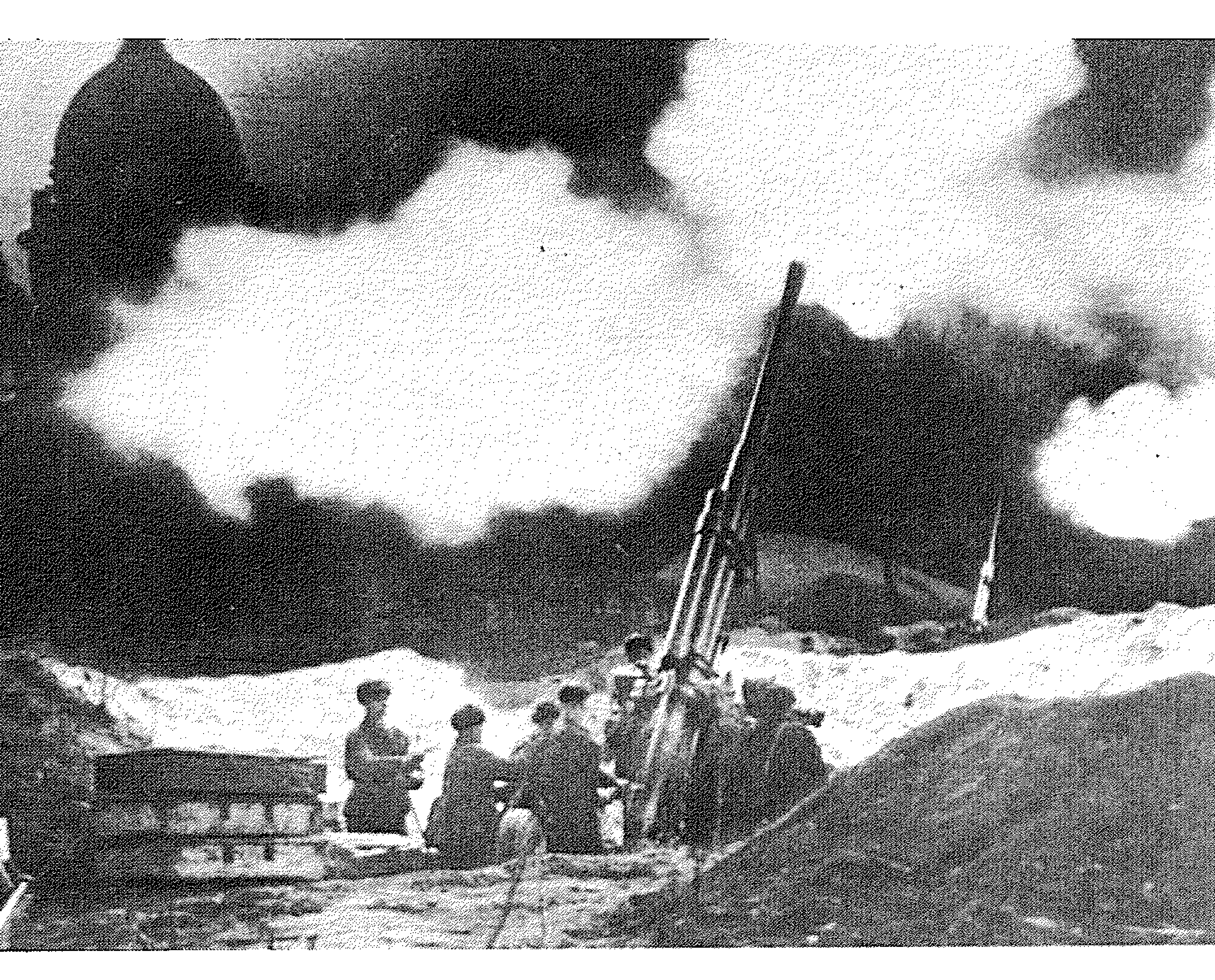
هنا يبدو جليا ارتسام الاهداف الطبقية النفعية لاسياد سياسة البلدان الغربية ورغبتهم المستورة في توجيه العدوان الفاشي نحو الشرق وجعل الاخرين يسحبون الكستناء من النار من أجلهم .

ويعرف الجميع البيان الوقح الذي أدلى به الى صحيفة **نيويورك تايمز** بعد يومين من دخول العصابات الهتلرية الى الاتحاد السوفياتي ، عضو مجلس الشيوخ هاري ترومان ، الذي أصبح رئيسا فيما بعد ، حيث قال : « اذا رأينا ان المانيا هي التي تربح فيتوجب علينا مساعدة روسيا ، واذا رأينا ان روسيا هي التي اخذت تكسب فيتوجب علينا مساعدة المانيا ، على نحو تلحق كل منهما أكبر ضرر ممكن بالاخرى » .

وفى الخطاب المذاع الذي القاه تشرشل بمناسبة الهجوم الهتلري ضد الاتحاد السوفياتي ، فمع اعلانه ان « قضية كل روسي يناضل في سبيل بيته وأسرته هي قضية الناس الاحرار والشعوب الحرة في جميع مناطق العالم » ، الا انه رأى من المناسب أن يضيف ما يلي : « خلال الـ ٢٥ عاما الاخيرة لم يكن هناك عدو ألد مني للشيوعية . ولا أسحب كلمة واحدة مما سبق ان قلته بصدد هذا النظام » .

وبتحدث الوزير الانكليزى مور برامازون ، عضو وزارة تشرشل ، على نحو أكثر دقة ايضا ، اذ اعلن بصراحة ان النهاية المشتهاة للعمليات في الميدان الشرقي هى الانهاك المتبادل لالمانيا والاتحاد السوفياتي ، الامر الذي من شأنه أن يتيح لانكلترا « احتلال موقع مسيطر » .

على هذا النحو كانت تفكر وتتحدث الشخصيات الغربية البارزة . ولا شك بأنها لم تكن تعكس أبدا الحالة النفسية لجماهير بلدانها ، التى كانت تشجب دون غموض العدوان الفاشي وتطالب بأن تتخذ تدابير جماعية جذرية من أجل ارجاع هواة



لينينغراد المحاصرة .

الفتوح الى صوابهم . لكن رد الفعل هذا لدى الرأي العام لم يكن كافيا بعد لاثارة قلق الهتلريين . وكانوا يعتقدون ، وليس دون سبب ، انهم ، في عام ١٩٤١ على الاقل ، لم يكونوا بحاجة لان يحترسوا من جهة الغرب . لقد كانت أيديهم طليقة في الشرق .

وهكذا فان الاتحاد السوفياتي كان يخوض عمليا معركة فريدة مع خصم قوي ومفعم بالحقد . ويمكن تكرار القول مع ذلك ان الاتحاد السوفياتي كان دولة قوية بدرجة كافية للصمود وانه كان يحوز الموارد الاقتصادية والعسكرية الضرورية . وهذا شيء صحيح . ومن ثم فقد ثبت ذلك . فحتى في أقصى أيام ١٩٤١ ، لم يشك الشعب السوفياتي أبدا بالنصر . بيد ان الانعطاف المفجع الذي اتخذته الاحداث في البداية ، كان شيئا غير مرتقب أبدا بالنسبة لجميع السكان وبالنسبة لكل جنود وضباط الجيش السوفياتي ، وبالنسبة للقيادة العليا والحكومة .

قد شهد التاريخ اكثر من مرة دولة معتدية ، أضعف اقتصاديا وعسكريا من أخصامها بصورة اجمالية ، تحرز

انتصارات كبيرة بفضل الاتجاه الوحيد المضفى على استعداداتها ، وبفضل توزيع جيشها واختيار مواقع الانطلاق الملائمة . وهكذا ففي بداية الحرب العالمية الاولى ، استطاع الجيش الالماني الوصول الى جوار باريس ، واستطاع العسكريون اليابانيون اجبار الولايات المتحدة وانكلترا على التراجع في الفترة الاولى من الحرب في المحيط الهادىء . وبالطبع فلا توجد في ذلك اية ضرورة ملزمة صارمة ولا يمكن على هذا النحو ايجاد الاعذار للنكبات التي حلت. ولكن فانه لواقع كون الامور قد حدثت على هذا النحو في الحرب العالمية الثانية .

ان الاتحاد السوفياتي ، الامين للمبادىء السلمية للسياسة الخارجية التي حددها لينين ، كان منصرفا الى امور سلمية ولم يكن يستعد لمهاجمة أحد . فسياسة العدوان والفتح هي غريبة عن الطبيعة ذاتها للدولة الاشتراكية .

وبالطبع فقد كان الاتحاد السوفياتي يحوز في بداية الحرب، من اجل دفاعه ، جيشا وفير العدد وعصريا . وكان هذا الجيش يضم في عام ١٩٤١ ٤٫٢ مليون رجل . ولكن في بداية صيف نفس العام ، لم يكن هذا الجيش موزعا في مناطق الحدود ، ولا مهيئا للمعركة مثل الجيش الالماني . فقوات التغطية في الحدود الغربية كانت تواصل تدريبها العادي ، ولم تكن في حالة تأهب وقد فاجأها الهجوم على حين غرة .

في أعوام ما قبل الحرب كان الاتحاد السوفياتي قد انشأ صناعة قوية ، الدعامة المادية لاقتصاد البلاد ودفاعها . ولكن من الجلي انه في زمن السلم ، فان قسما فقط من الصناعة كان مخصصا لانتاج الاسلحة . وكان العلماء السوفياتيون قد أعدوا عدة نماذج هامة من الاسلحة والمعدات ، لكن الانتاج بالجملة لم يكن قد بدأ بعد . ان التجديد التكنيكي للجيش ، والطيران والبحرية كان في بدايته فقط . ولم يكن قد تسنى للرجال بعد الوقت الكافي لاتقان استعمال الاسلحة الجديدة ولم تكن قد انجزت بعد اعادة تنظيم الفرق والفيالق ، التي كانت قد أدخلت تعديلات على أفرادها . ولم يكن قد تسنى الوقت بعد لانهاء تحصينات الحدود الغربية الجديدة .

وخلال الايام الاولى للحرب ، فان عنصر المفاجأة قد كلف



الفاشستية هي الموت .

الجيش السوفياتي خسائر فادحة بالمعدات . ولذلك ، ففي بداية النزاع ، كان السوفياتيون يعانون نقصا في الدبابات ، وفي الطائرات ، وفي وسائل النقل . ان قوات التغطية التي اضطرت لتحمل الصدمة الاولى ، الصدمة الاشد ، لم تكن تملك لا القوى ولا الخبرة الكفاحية التي كان يملكها العدو .

وفي حين ان الالمان كانت تعززهم قوات الدول التابعة لهم ، فان الاتحاد السوفياتي ، المقتصر على قواته وحدها ، كان يتوجب عليه أيضا أن يصد المعتدي على جبهتين : الجبهة الغربية وجبهة الشرق الاقصى . ومن المعلوم ان اليابان كانت من الحلفاء الرئيسيين لالمانيا ونشيطة مثلها في سياستها العدوانية ضد الشعوب المسالمة . وبعد احتلال منشوريا وشمال الصين، وزعت في محاذاة الحدود السوفياتية جيش شمال شرقي الصين القوي الذي يضم مليون رجل . الا ان اليابان لم تكن تخفي مشاعرها المعادية للسوفيات ، الامر الذي أرغم الاتحاد السوفياتي على أن يبقي ، من البايكال الى القسم الشمالي من ساخالين والى

فلاديفوستوك قوات هامـة (تصل الى ٤٠ فرقة) . ومن ناحية اخرى كان على الاتحـاد السوفياتي أن يحترس فـي حدوده الجنوبية ، نظرا لان الحكام الاتراك الذين كانوا قد اعلنوا حيادهم ، قد واصلوا مع ذلك مساعدة المانيا ، وكانت المكائد الهتلرية في ايران توحي بالقلق أيضا .

الا ان السوفياتيين الذين كانت الهزائم الاولـى لجيشهم بمثابة تجربة قاسية لهم ، قد كانوا على اقتناع بأن بداية الحرب كانت ستتخذ اتجاهـا آخر لو لم يرتكب ستالين اخطاء جسيمة في اعداد الاتحاد السوفياتي للعدوان النازي ، الـذي كان يبدو شيئا محتما منذ زمن بعيد . ان ستالين الذي تولى القيادة العليا للبلاد ولقواتها المسلحة ، لم يتخذ جميع التدابير التي كانت تمليها عليه الظروف من أجل تعبئة الصناعـة الحربية ووضع القوات السوفياتية في حالة التأهب . ولم يستطـع أن يقدر على نحو صحيح الوضع السياسي والعسكري عشية الحرب . معتقدا بأن المانيا لن تقدم على مهاجمة الاتحاد السوفياتي بمثل هذه السرعة. ولم يستخلص في الوقت المناسب نتائج حشد القوات الذي اجراه الهتلريون على الحدود الغربية للاتحـاد السوفياتي ، وقد أصبح معلوما الان انه كان قد أبلغ عن ذلك بالتفصيل مـن قبل مصالح الاستخبارات السوفياتية . وكان قد جعل قاعدة له عدم اعطاء الحكام الالمان ادنى ذريعة باتهام الاتحاد السوفياتي بخرق الميثاق الالماني السوفياتي . ولهذا السبب فان اعداد البلاد لهجوم محتمل من الخارج ، في حين كانت تحتدم الحرب العالمية الثانية ، كان يجري ببطء ، وكأنه كان يجري على مضض . ومن ناحية اخرى ، فقبل الحرب بقليل ، فان حذر ستالين الشديد قد ادى الى اعمال قمع لا مبرر لها تجاه قواد عسكريين عـديدين موهوبين . وقد كان الرجال الذين حـلوا محلهم صغيري السن جدا وتنقصهم التجربة ، الامر الذي انعكس في قيادة العمليات في بداية النزاع.

هذه هي الاسباب الرئيسية التي ساعـدت الهتلريين في بداية الفترة الاولية من الحرب ضد الاتحاد السوفياتي .

وبالرغم من كل شيء فان الشعب السوفياتي وجيشه قد وجدا القوة للتغلب على المخنة وابعاد الخطر الرهيب الذي كـان

بخيم عليهما في عام ١٩٤١ ، وان يوقفا العدو ثم أن يستعيد المبادرة .

انه لامر طبيعي طرح السؤال التالي : كيف استطاع الشعب السوفياتي النجاح ؟ ومن أين استمد القوى ؟ ولماذا لم يستطع الهتلريون الذين وصلوا الى اسوار موسكو ، الاستيلاء على العاصمة السوفياتية ؟ ولماذا غرس الجنود السوفيات ، بعد وصولهم الى برلين ، رايتهم على قمة الرايخستاغ ؟ اننا سنكشف فقط عن الاحداث التي تساعد بصورة مباشرة على فهم دور الاتحاد السوفياتي وجيشه في الحرب العالمية الثانية والنصيب الذي ساهما به في تحرير الشعوب من عدوها المشترك ، الفاشية.

ما هي هذه الوقائع ؟ لقد دامت حرب الشعب السوفياتي ضد ألمانيا الهتلرية والدول التابعة لها حوالي اربعة أعوام (من ٢٢ حزيران ١٩٤١ الى ٩ أيار ١٩٤٥) . ان الطول الاجمالي للجبهة ، من الشمال الكبير الى البلقان ، بلغ حتى ستة آلاف كلم وقد تراوح عدد أفراد جيش العدو ، حسب الفترات ، بين ١٩٠ و ٢٩٠ فرقة . ووفقا لمعطيات غير كاملة فان أكثر من ستمائة فرقة تابعة لالمانيا وحلفائها وضعت خارج المعركة . ومثل هذه الخسائر كان يستحيل تعويضها .

لقد تطلب هذا الانتصار معارك عديدة ومنهكة ، كانت نتيجتها موضوع نضال طويل وضار وحشد مدهش لكل القوى المعنوية والاقتصادية ، والعسكرية للشعب السوفياتي .

الشعب يقود النضال

ان الهجوم السوفياتي الهام الاول أمام موسكو والهزائم الجدية الاولى للهتلريين على الجبهة الشرقية قد هيأتها المقاومة الضارية للشعب السوفياتي ولمحاربيه خلال المعارك الدفاعية القاسية في صيف ١٩٤١ .

ولم تثبط المباغتة في الهجوم وعدم تناسب القوى عزائم السوفياتيين ولم تضعف تصميمهم . فقد هبوا للدفاع عن وطنهم ، واثبتوا خلال معارك عنيفة انهم عازمون على أن لا يبخلوا ، لا بدمهم ولا بحياتهم ، من اجل المحافظة على حريتهم .

ان تاريخ الايام الاولى للحرب مفعم بالامثلة المؤثرة على



الى الامـام !

التجاعة ، والجراة ، وروح التضحيـــة لدى الجنود السوفيات الذين خاضوا معركة غير متكافئة ضد المجتاح .

وقد ابدت حامية قلعة بريست امام النازيين مقاومة شديدة الى حد ان هؤلاء قد قضـوا اكثر من شهر من اجـــل الاستيلاء على مركز الحدود هذا الـــذي كان يسد في وجههم طريق منسك . وسمولنسك ، وموسكو . ولم تستطع لا النار الجهنمية للمدفعية، ولا اعمال القصف الكثيفة من قبل الطيران ، ولا هجمات الدبابات من التغلب على الروح الكفاحية وعلى العناد لدى السوفياتيين . وقد حفر جندي مجهول على أحد جدران الحصن العبارة التالية : « أموت ولكن لا أستسلم : وداعا يا وطني ! ٢٠ ــ ٧ ــ ١٩٤١ » .

ومنذ الايام الاولى سمعت البـــلاد أحاديث عن عدة حالات صدم طائرات عدوة من قبل الطيـارين السوفياتيين . وستخلد إلى الابد في الذاكرة مأثرة ملاحي قاذفة القنابل بقيادة الربان نيقولاي

غاستيللو . وبعد ان ادت طائرة غاستيللو مهمتها أصيبت بنيران المدفعية المضادة للطائرات وهي عائدة الى قاعدتها . ولم يستطع الطيارون اطفاء الحريق وقرر الربان اسقاط الطائرة على حشد من السيارات ومن صهاريج البنزين كان قد رآه على طريق كبير جدا . وقد هلك الابطال مسببين للعدو خسائر فادحة .

وبمقدار ما كان العدو يتقدم داخل البلاد ، كان يصطدم بمقاومة اكثر عنادا دائما وبهجمات معاكسة أقوى دائما ، من قبل الجيش السوفياتي . وقد طال الدفاع عن سمولنسك اكثر من شهر مجمدا ومنهكا المجموعة النازية التي كانت تتجه نحو موسكو . وقد صمدت فرقة المشاة الـ ١٠٠ حوالي الشهر امام منسك مدمرة اكثر من ٣٠٠ دبابة عدوة . وقد فقد العدو امام بريانسك حتى ٥٠٠ دبابة . وقد وضع هجوم معاكس للقوات السوفياتية أما يولنيا ويارتسيف ، خارج المعركة ، ثماني فرق عدوة . وقد ادى هجوم معاكس في منطقة سولتاي ضد فيلق فاشي الى تأخير تقدم العدو في اتجاه لينينغراد . وقد أوقفت قوات البلطيق البرية والبحرية حوالي الشهر قوات هامة أمام تالين .

وصمد مدافعو شبه جزيرة هانكو ، عند مدخل خليج فنلندا ، في ظروف قاسية جدا ، أمام حصار دام اكثر من خمسة اشهر . وجرى الدفاع عن اوديسا مدة ٦٩ يوما ، وعن سيباستوبول ٢٥٠ يوما . وقد كلف العدو الاستيلاء على هذه المدينة ، حوالي ٣٠٠ الف جندي وضابط . ان الابطال الذين تميزوا في هذه القلعة يعطوننا كل مدى العظمة الصارمة للروح العسكرية . وهذا ينطبق على البحارة الخمسة التابعين للمدرب السياسي نيقولاي فيلتشنكوف . فأمام كتيبة من الدبابات لم يكن لدى هؤلاء الرجال من اسلحة سوى القنابل اليدوية والرشاشات . فبعد مقتل اثنين منهم والوشوك على نفاد الذخائر ، أحاط الشيوعي فلتشينكوف نفسه بسبحات من القنابل اليدوية وقذف بنفسه تحت جنازير احدى الدبابات . وقد اقتدى به البحاران بارشين واودينتسوف . وهكذا أوقف الهجوم .

لقد عاشت لينينغراد ، هذه المدينة الرائعة المنتصبة على ضفاف النيفا ، ملحمة اسطورية لم تعرف مثلها الا مدن نادرة . وكان هتلر قد اعطى الى قواته الامر بسحق وابادة سكانها . لكن



هنا جرى قتال .

هذه المشاريع المتسمة ببربرية نادرة قد احبطتها شجاعه جنود ، وبحارة ، وسكان المدينة البطلة . وكانت الخطوط الامامية والخلفية متداخلة . وقد اشترك ٣٠٠ الف من سكان لينينفراد بالتعبئة الجماهيرية . ونظرا لان العدو لم يستطع الاستيلاء على المدينة عن طريق الهجوم فقد أخضعها لحصار لا نهاية له ومنهك دام ٩٠٠ يوم ، ٩٠٠ يوم من الآلام والمآثر . ان الناس أصحاب النوايا الطيبة لا يستطيعون ان لا يتأثروا بقصة ما اضطر لمعاناته المدافعون عن المدينة التي تحمل اسم لينين . فأعمال القصف المستمرة ، والجوع ، والبرد ، قد سببت هلاك مئات الوف الاشخاص . لكنهم فضلوا الموت على تسليم مدينتهم . ولم تسلم لينينفراد .

فور دخولهم الى الاراضي السوفياتية ، ارتكب الهتاريون جرائم وحشية ضد السكان المدنيين . وقد عرف السوفياتيون الوجه الحقيقي للفاشية بتجربتهم المباشرة . فاعدام المدنيين رميا بالرصاص ، دون شفقة على العجز ، والنساء ، والاطفال ، والاهانات المقيتة والتعذيب للجنود ، والضباط ، والانصار الذين

أسروا ، وتدمير المدن والقرى ، والصروح الاثريــة ، وابعاد مئات الالوف من المواطنين السوفيات المحكوم عليهم بالاشغال الشاقة الى المانيا ، كل هذه الاعمال البربرية لن ينساها السوفياتيون ابدا.

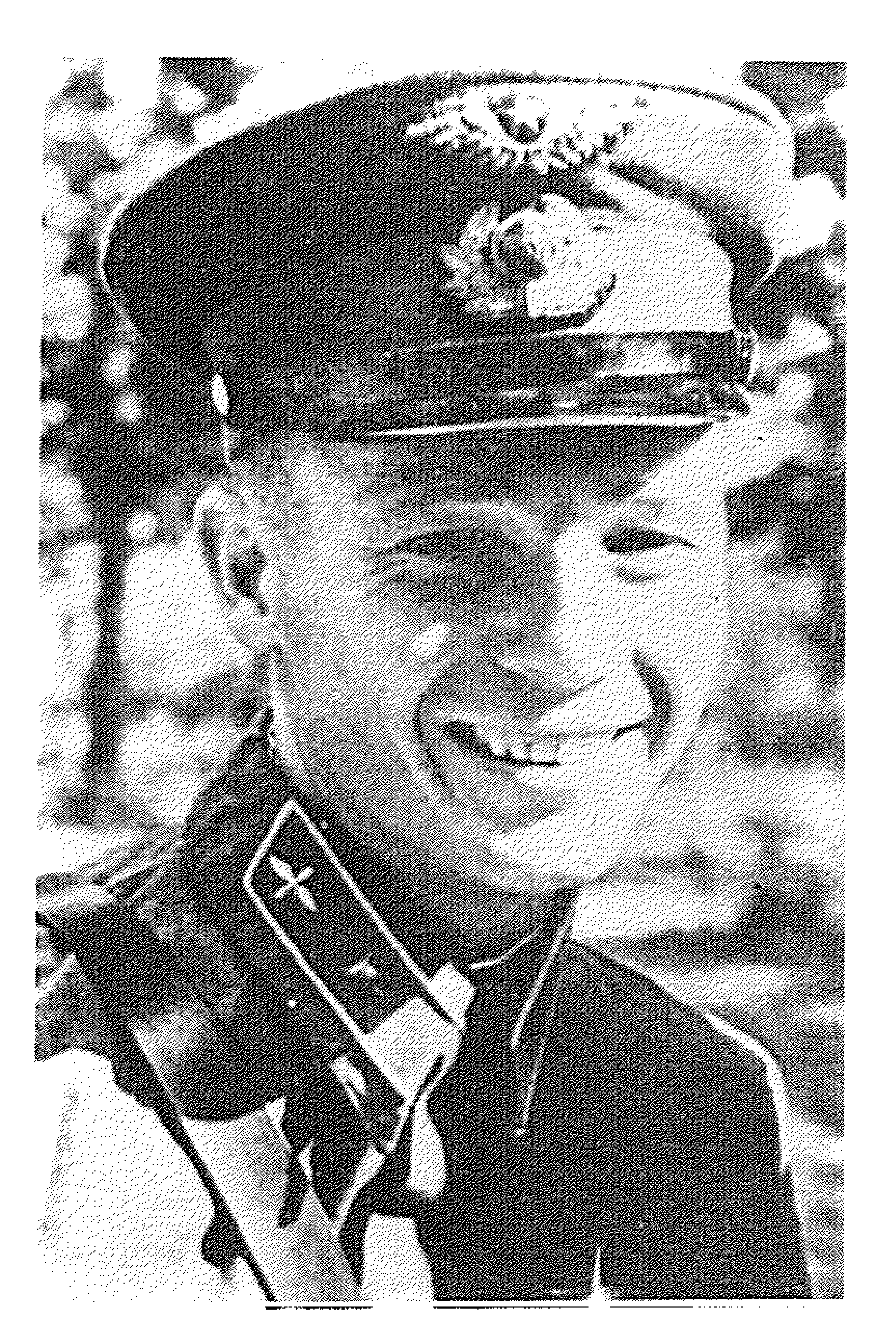
ولم يكن ذلك مجرد اساءات عفوية من قبل زمرة عسكرية تجردت من النزعة الانسانية ، بل كان « تكتيكا » مقررا مــن قبل المراجع العليا . لقد كانت توصيات هتلر كما يلي : « يتوجب علينا أن نبيد السكان ، ويدخل ذلك في رسالتنا لحماية السكان الالمان. وسيتوجب علينا أن ندفع الى الامام تكنيك الابادة ... » . وقد خاطبت القيادة العليا جنود الجبهة الشرقية على النحو التالي : « لن يكون لديك لا قلب ولا اعصاب ، وأنت لست بحاجة لها في المعركــة . تخلص من كـــل شفقة ورحمة . اقتـــل الروس ، السوفياتيين ، دون أن تتورع امام العجز ، والنساء ، والبنات ، والغلمان ؛ اقتل ... » . وقد نفذت هذه الاوامر .

ان عدة ملايين من المواطنين السوفيات كانوا ضحايا السعار المدمر للقتلة النازيين (بلغ مجموع الخسائر البشرية التي مني بها الاتحاد السوفياتي خلال الحرب حوالي ٢٠ مليون شخص) (١) .

امتلأت أفئدة السوفياتيين بحقد مشروع عــلى جلاديهم . وقد ردوا على بربرية العصـــابات الهتلرية بصرختهــم « الموت للمجتاح ! » وقد دخل الشعب كله النضال . ان احدى بادرات الطابع الشعبي العميق للحرب ضـــد المانيا ، نجدها في الاتساع الخارق لحرب الانصار في المناطق المحتلة من قبل العدو . فمنذ تشرين الاول ١٩٤١ كانت فصائل الانصـــار في المناطق الغربية تضم مئـــات الوف « المنتقمين الشعبيين » وكان السوفياتيون

---

(١) دمر النازيون في مناطق الاتحاد السوفياتي التي كانوا يحتلونهـــا او استولوا عليها ، خيرات مادية ذات قيمة هائلة . وقد خربوا ونهبوا ١٧١٠ مدن واكثر من ٧٠ الف قرية وضيعة ، وعطلوا تماما او جزئيا ٣٢ الف مؤسسةصناعية و ٦٥ الف كلم من السكك الحـــديدية ، ونهبوا ٩٨ الف كولخـــوز و ١٨٧٦ سوفخوزا ، ودمروا عشرات الاف المستشفيات والمـــدارس والمكاتب والمسارح والمتاحف . وقد قدرت الخسائر المادية الناتجة عن التدمير أو السرقة بمبلـغ ٦٧٩ مليار روبل ، وبلغ مجموع الخسائر المادية التي مني بها الشعبالسوفياتي حوالي ٢٦٠٠ مليار (بروبلات ما قبل الحرب) .



بطل الاتحاد السوفياتي فكتور تالاليخين الذي صدم بطائرته طائـرة المانيا واسقطها .

ينضمون الى حركة الانصـــار بأسر ، وقرى ، واقضية بكاملها ، زارعين الهلع بين النازيين بنشاطاتهم . وقد خففـوا كثيرا مهمة الجيش السوفياتي .

ان الجنود والضباط الفاشيين الذين كانوا يتوقعون النزهة العسكرية التي وعدهم بها قادتهم ، قد أصيبوا بخيبـة الامل . ولم يتوجب عليهـم أبدا في الماضي مجـــابهة مثل هذه المقاومة الضاريـة والعامـة .

وقد كتبت الصحيفة الرسمية للحزب النازي ، صحيفـة **فولكيشر بيوباختر** ، في ٤ تموز ١٩٤١ ما يلي : « مما لا جدال فيه انه بين جميع الاعداء الذين اضطر الجنـــدي الالماني لمجابهتهم ، فان السوفياتيين هم الاكثر شجاعة والاكثر عنادا » .

وكان يتوجب على العدو فعلا لكي يتقـــدم ، أن يمر فوق جثث جنوده وضباطــــه القتلى . ان خسائر الهتلريين بالرجال

والعتاد لم تلبث ان بلغت منذ البداية نسبا خيالية . فقد ذكرت صحيفة **اربيتاون** السويدية ، في تموز ١٩٤١ ، ما يلي : « لقد اصطدم الالمان بعدو اكثر صـــلابة وخطرا مما كانوا يتوقعون . فالخسائر بالرجال ، وبالدبابات ، والطائرات ، قـد كانت مرتفعة بصورة خارقة » .

ويعترف الجنرال الهتلري تيبلكرش في كتابه **حصيلة الحرب العالمية الثانية** ان العمليات الناجحة الاولى في عام ١٩٤١ « لم تؤد لا الى الابادة السريعة لجميع القـــوات المسلحة للعدو ، ولا الى ضرب معنويات قوات الجيش الاحمر » .

الهزيمة الهامة الاولى للويهرماخت

في خريف ١٩٤١ ، انتقل القطـاع الحاسم للعمليات نحو موسكو . وكان الاستيلاء على العاصمة السوفياتية ، منذ بداية الحرب ، الهدف الرئيسي للهتلريين . وكانوا يعتقدون ان سقوط العاصمـــة وسحق القسم الاكبر من قوات الجيش الاحمر على المحور الرئيسي ، سيرغمان الاتحـاد السوفياتي على الاعتراف بالهزيمة وستنتهي الحرب عندئذ . ومن المعلوم ان النازيين كانوا يتوقعون الاستيلاء على موسكو قبـل حلول الشتاء ، وبذلوا من اجل ذلك جهودا يائسة .

وفي نهاية ايلول ، اصبحت مشارف موسكو مسرح معارك ضارية . فقـد قذف النازيون الى الهجـــوم العام ضد موسكو بقوات هائلة ، تصل الى ٨٠ فرقة ، بينها ٢٢ فرقة مدرعة وآلية يدعمها اكثر من الف طائرة . والجدير بالذكر ان ١٠ ـ ١١ فرقة مدرعـــة قد كانت كافية لهتلر فـــي أيار ١٩٤٠ للتغلب على الجيش الفرنسي .

ومقابل خسائر هائلة نجح العدو في دفع القوات السوفياتية نحو الشرق . وفي تشرين الاول احتل كالينين ، وكلين ، وفيازما، وموجايسك ، ووصل الى القرب المباشر لموسكو . وفي الجنوب كانت اوريل قد سقطت ، وكانت معارك ضارية تجري من اجل تولا ، وفي الطرف الاقصى للزاوية التي كان يحاول الهتلريون ان يخترقـوا منها الدفاع السوفيـــاتي في جنوب موسكو ، وضع الجيش المدرع للجنرال غودريان . لكن الهجوم توقف . وقـد

ازدادت قوة مقاومة القوات السوفياتية .

وفي مهلة قصيرة جدا ، فان اكثر من نصف مليون من سكان المدينة وجوارها قد شيدوا أمام موسكو تحصينات قوية . وكانت مصانع الاسلحة والذخائر تعمل ليلا نهارا . وكانت حرب الانصار محتدمة في مؤخرات العدو . وفي منطقة موسكو وحدها ، كان النازيون يواجهون اكثر من اربعين تشكيلة من تشكيلات الانصار تلحق بهم خسائر هائلة .

لقد تجاوز اسم عضو الكومسومول زويا كوسموديميانسكايا حدود الاتحاد السوفياتي . فان التلميذة الموسكوبية الفتية قد تطوعت في فصيل للانصار واشتركت بمهمات استكشاف ، مقدمة للقيادة معلومات قيمة عن العدو . وقد سقطت في أيدي الهتلريين الذين حاولوا ، بواسطة اعمال تعذيب وحشية ، ان ينتزعوا منها أسماء رفاقها ومكان هيئة اركان الانصار . ونظرا لانهم لم يستطيعوا أن ينتزعوا منها اي اعتراف ساروا بها الى المشنقة . وفي الوقت الذي كان الجلاد يضع الحبل حول عنقها ، رفعت زويا رأسها وخاطبت سكان قرية بيتريشتشيفو الذين كان الهتلريون قد جمعوهم في مكان الاعدام ، صائحة : « ان الموت لا يخيفني أيها الرفاق ! انه لسعادة ان يموت الانسان في سبيل شعبه ! » .

أمام اخفاق المحاولة الاولى ، أخذت القيادة الالمانية تعد هجوما كبيرا ثانيا الهدف منه تطويق موسكو والانتصار النهائي . وبسبب الخسائر ، فقد استخدم الهتلريون في هذا الهجوم قوات اقل من المرة الاولى لكنها ظلت ضخمة مع ذلك : ٥١ فرقة ، منها ١٣ فرقة مدرعة وثماني فرق آلية . وقد اصطدم الهجوم الذي بدأ في منتصف تشرين الثاني بمقاومة اكثر حزما أيضا .

مشاة ، وسائقو دبابات ، وطيارون ، ورجال مدفعية ، كانوا يقاتلون من اجل موسكو بثبات خارق . فعلى طريق فولوكولامسك ، فان الفرقة ٣١٦ (التي أصبحت فيما بعد فرقة الحرس الثامنة) ، بقيادة الجنرال بانفيلوف صمدت بشجاعة . وفي ١٦ تشرين الثاني ، فان فريقا من جنود هذه الفرقة بقيادة المدرب السياسي للسرية فاسيلي كولتشكوف ، سدت الطريق أمام الفاشيين قرب محطة دوبوسيكوفو . وقد قذف الهتلريون الى المعركة بعدد كبير من الدبابات وفصيل من المشاة .

وكان كولتشكوف يحث رفاقه قائلا :

ـ مهما كانت روسيا كبيرة فليس لدينا مكان نتراجع اليه : ان موسكو وراءنا .

وقد تمسك الجنود بقوة بمواقعهم فكانوا يصدون هجوما بعد اخر . وكانت صفوفهم تنفرج ، لكن العدو لم يتقدم خطوة واحدة . وفي احرج لحظة ، فان كولتشكوف الذي كان قد جرح جرحا خطيرا ، قذف بنفسه تحت دبابة المانية مع سبحة من القنابل اليدوية . ان الابطال الذين لم يكونوا يرون من مخرج سوى الموت ، قد اوقفوا العدو .

لقد صد هجوم العدو . لكن الخسائر التي وقعت قد اصبح من المستحيل تعويضها . الا ان القيادة السوفياتية حشدت حول موسكو احتياطيات هائلة . والى جانب الوحدات المشكلة حديثا كان يعثر على فرق من النخبة من سيبيريا والشرق الاقصى .

وحين كانت القوات السوفياتية لا تزال تقف موقف الدفاع، كانت قد بدات الاستعداد لهجوم معاكس حاسم ، لم يلبث ان شن.

في ٥ كانون الاول تحركت جبهة كالينين (بقيادة الكولونيل جنرال كونييف) وتبعتها في ٦ منه جبهة الغرب (بقيادة الجنرال جوكوف) وجبهة الجنوب الغربي (بقيادة الماريشال تيموشنكو) . وقد تقهقر الهتلريون واضطروا الى التراجع على عجل مخلفين وراءهم معداتهم وعددا كبيرا من القتلى والجرحى . وكانت جيوش الجنرالات روكوسوفسكي ، وغوفوروف ، وغوليكوف ، ونيليوشنكو ، وكوزنتسوف ، ويوشخيفتش ، وبولدين وغيرهم تتقدم بسرعة محررة الوف الاماكن . وكانت تدعمها الاعمال الجريئة لفيلقي فرسان الجنرالين ديفيتور وبيلوف .

بدا هجوم الشتاء الكبير . ووجد الهتلريون انفسهم وقد قذف بهم الى مسافة تبعد من ١٥٠ الى ٤٠٠ كلم عن موسكو ، بعد ان وضعت اربعون فرقة خارج المعركة . وكانت هذه هي الهزيمة الاولى للجيش النازي في الحرب العالمية الثانية . وقد تبددت امام موسكو وعلى أيدي الجنود السوفياتيين الاسطورة القائلة بأن الويهرماخت لا يقهر ، هذه الاسطورة التي اعتني بمراعاتها حتى ذلك الوقت . وقد انحطت معنويات النازيين ، وفشل مشروع الاستيلاء على موسكو والحرب الصاعقة ضد الاتحاد السوفياتي .

سجل رئيس هيئة الاركان الالمانية هالدر ، في كانون الاول ١٩٤١ في يومياته : ٧٧٥ الفا و ٧٨ قتيلا ، وجريحا ومفقــودا اي ٢٤،٢ ٪ من مجموع القوات التي استخدمت في الشرق .

وكان ذلك نصرا كبيرا للشعب السوفياتي ولجنوده الشجعان، وكان له ايضا اهمية سياسية وعسكرية كبيرة بالنسبة لنهايـة الحرب . وبالاضافة الى السوفياتيين ، فان الملايين من سكـان البلدان المحتلة من قبل المانيا قد شاهدوا ، مع هذه النكبة التي حلت بعـــدوهم المشترك ، اقتراب ساعـــة التحرر التي طالما انتظروها . ان الهجوم على روسيا السوفياتية من قبل المانيا قد نشط بقوة حركة المقاومة في البلدان الاوروبية . وقد اضطر القادة النازيون الى الاعتراف بذلك هم أنفسهم . وهكذا فان التوجيـه الصادر في ١٦ ايلول عام ١٩٤١ من المقر العام الالماني قد أشار الى اشتعال المقاومة في كل المناطق المحتلة مــن قبل النازيين ، منذ بداية الحملة ضد الاتحاد السوفياتي . وقد بدأ رد جماهيري مسلح ضد المحتلين في يوغوسلافيا ، وبولونيا ، وفرنسا ، والبانيا، وفي بلدان اخرى .

وقد اطلق العمال التشيك الشعار التالي : « ان انتاجنا في خدمة ماكنة الحرب الالمانية يجب ان يكون أسوأ انتاج في العالم » . وفي تموز ـ آب ١٩٤١ ، فان الانتاج الحربي المقدم من قبل المصانع التشيكوسلوفاكية قد انخفض ٤٠ ٪ . وقد طبق الوطنيون البلغار الشعار التالي : « لا جنـــدي واحد لحرب هتلر » ضـــد الاتحاد السـوفيـــاتي .

بعد هزيمة الهتلريين أمام موسكو اتسعت حركة الانصـــار بمقدار اكبر ايضا . وفـــي بداية عام ١٩٤٢ . فان ٤٣ فصيلا ، و ١١ فوجا ، ولواء ، وعدة تشكيلات اصغر ، كانت تحارب في يوغوسلافيا . ومن تموز ١٩٤١ الى شباط ١٩٤٢ ، سجل الوطنيون الفرنسيون ٣٨٠ هجوما مسلحا ضـــد الهتلريين . وسجل حرس الغوارديا لودووا ، الذي أسس في بولونيا في ربيع عام ١٩٤٢ ، اكثر من ٣٠٠ هجوم في ذلك العام . وفي تسعة اشهر من عــــام ١٩٤٢ ، نفذ الانصار الالبانيون ٣٣٠ عملا مسلحا . وفي كانون الاول

←

هذا الضابط الجريح رفض مغادرة الجبهة.



١٩٤١ أنشأ المقاومون اليونان جيشا للتحرر الوطني (ايلاس) ، كان شعاره « النصر أو الموت ! » . وتضاعفت أعمال التخريب في بلجيكا ، والنروج ، وهولندا ، والبلدان الاخرى الخاضعة للهتلريين.

حصن الفولغا

ان المقاومة البطولية للقوات السوفياتية على ضفاف الفولغا خلال صيف وخريف ١٩٤٢ هي صفحة من أمجد صفحات النضال ضد الغزو الفاشي ، وهي حدث من الاحداث الرئيسية للحرب العالمية الثانية .

كيف جرت هذه المعركة الشهيرة ؟

ان المعارك من اجل موسكو وهجوم الشتاء من قبل الجيوش السوفياتية كانت قد انزلت ضربة جدية بالهتلريين . لكن هؤلاء كانوا لا يزالون يملكون احتياطيات وفيرة كانوا مصممين على استخدامها في الشرق . وكانت انكلترا والولايات المتحدة ، حليفتا الاتحاد السوفياتي ، تملكان في ذلك الوقت قوات هامة وكانتا تستطيعان أن تضربا النازيين بشدة . لكنهما لم تكونا تنويان فتح جبهة ثانية في اوروبا . وقد أتاح جمودهما للهتلريين نقل عدد كبير من الفرق والدبابات والطائرات الى الجبهة الالمانية السوفياتية.

لكن النازيين لم يعودوا أقوياء مثلما كانوا في عام ١٩٤١ ولم يعد باستطاعتهم أن يهاجموا على طول الجبهة . وقد قرروا حشد القسم الاكبر من قواتهم في قطاع كورسك وخاركوف وتوجيه جهودهم ضد القوات السوفياتية في الجنوب .

وفي تموز ١٩٤٢ انطلق الويهرماخت نحو ستالينغراد (فولغا غراد الان) وشمال القفقاس . وكان من الاسهل بالنسبة لدباباته المناورة في سهول جنوب البلاد الخالية من النتوء والغابات . وقد أبدت القوات السوفياتية مقاومة ضارية . وفى منحنى الدون ، في المكان الذى يقترب فيه هذا النهر اكثر ما يكون من الفولغا ، قذف الى المعركة بالجيشين الـ ٦٢ و ٦٣ . وقد احترقت مئات الدبابات وحصد الوف الهتلريين فى مواقعهم .

وفي قطاع كليتسكايا ، فان الجنود بولوتوف ، والاينيكوف ، وصموئيلوف ، وبيليكوف ، قد خاضوا المعركة ضد ٣٠ دبابة . وكانت انفجارات القذائف تطوق المدافعين البواسل وكانت تطمرهم

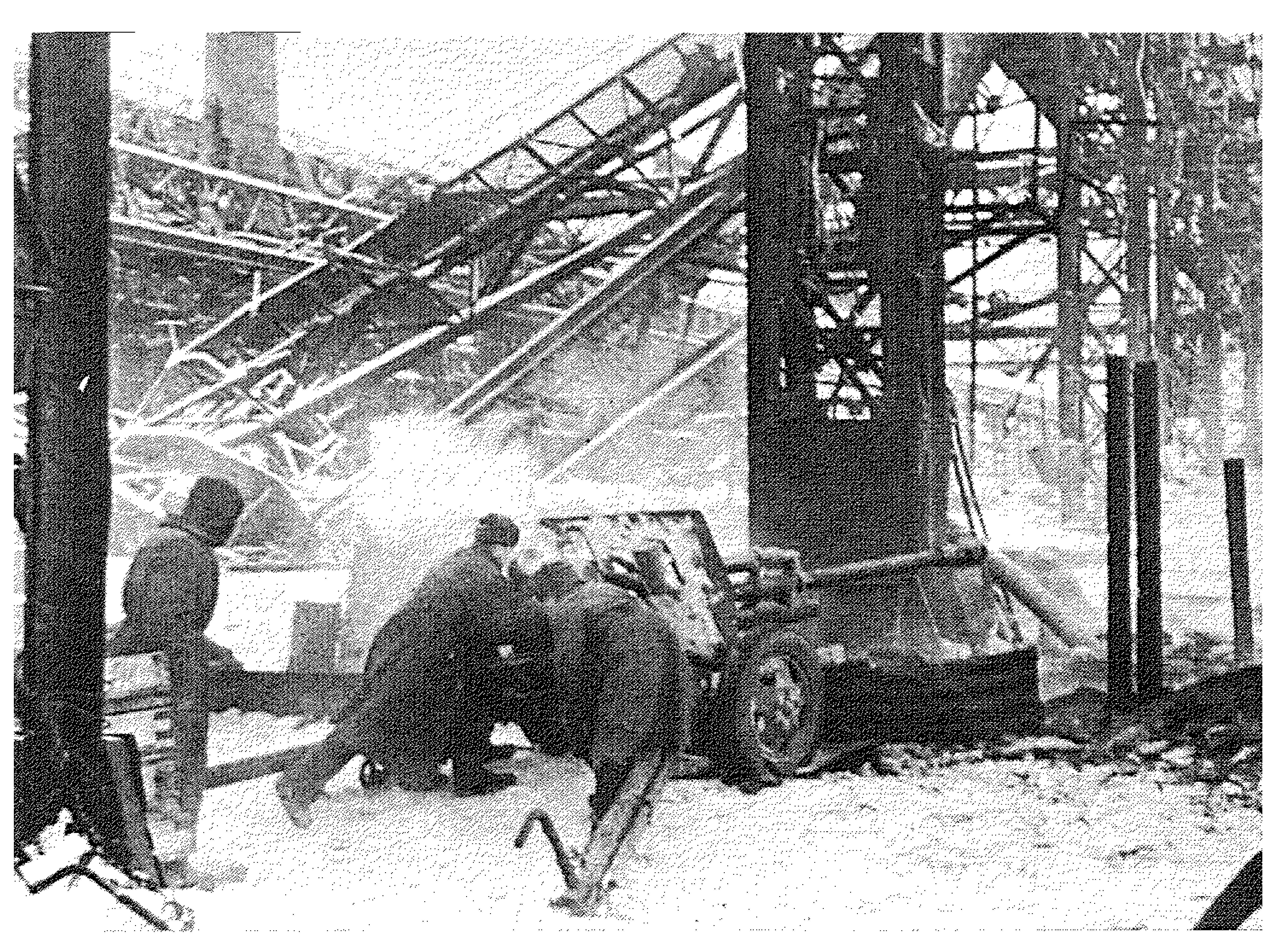
احيانا بالتراب . لكنهم ظلوا يطلقون النــار بجراة وبتسديد اكبر ضد دبابات العدو . وكان بولوتوف وبيليكوف يطلقان النار من بندقيتيهما المضادتين للدبابات، في حين ان الاينيكوف وصموئيلوف كانا يسددان النار الى الجنود الذين كانوا يغادرون المدرعــات المشتعلة . وقد عطل الرجال ١٥ دبابـــة دون أن يتعرضوا هم انفسهم للخسائر .

وفي آب ١٩٤٢ ، في مكان غير بعيد من قرية مالايا روسوشكا، فان ٣٣ جنديا من الحرس ، وعلى راسهم الرقيب كوفاليف ، قد طوقوا . وقد قذف النازيون ضـــدهم بـ ٧٠ دبابة ؛ أي بمعدل دبابتين ضد كل جندي . وكان النجاح مسألة مفروغا منها . لكن المعركة احتدمت خلال يومين وكلفت المهاجمين ٢٧ دبابة واكثر من ١٥٠ رجلا . وقد صد السوفياتيون جميع الهجمات وتوصلوا الى شق طريق نحو رفاقهم .

خلال شهر بأكمله حمي وطيس المعركة من أجل مشــارف ستالينغراد . ولم يستطع الهتلريون ، كما كانوا يتوقعون ، اقتحام مدخل المدينة . وقد اقتضى الامر أن يستنجدوا بفرق جديدة من أجل الدخول اليها في نهاية آب . وقــد اصبحت المعــارك ضارية . وفي كل مكان كان العدوان يتقاتلان جسدا الى جسد ، برا وجوا ، وليلا ونهارا . ودون الالتفات الى الخسائر ، كـــان الفاشيون يقذفون دائما بوحدات جديدة الى الاتون . وقد اشتعلت المدينة وتحولت الى حقل من الانقاض ، لكن المدافعين عنها لــم يكونوا يتخلون دون قتال عن شارع واحد أو منزل واحد .

لقد عين الجنرال ، الذي اصبح ماريشالا الان ، ايريمنكــو قائدا اعلى لقوات هذه الجبهة . وكانت المهمة المباشرة للدفاع عن المدينة مؤمنة من قبل وحـــدات الجيش الثاني والستين تحت قيادة الجنرال تشوييكوف ، الذي أصبح ماريشالا الان هو أيضا.

ولم يكتف الجنود السوفيات بالدفاع بل انتقلوا ايضا الــى الهجوم بنفس الجراة. وقد أظهر قواد وجنود الفرقة الثالثة عشرة للحرس (بقيـــادة الجنرال رودميتسيف) قيمتهـم الخارقــة بانتقالهم الى الهجوم في مامايف كورغان ، فور وصولهم الــى الجبهة . ان ارسال تعزيزات جديدة قد ضاعف عشرات المرات نشاط المدافعين وساعدهم على الصمود .



لقد دمر العدو ستالينغراد ولكنه لم يستول عليها .

وناضل عمال المدينة جنبا الى جنب مع القوات وكانوا يمتطون الدبابات مباشرة في مشاغلهم وينطلقون من هناك الى المعركة . وقد انخرط في الجيش السوفياتي اكثر من ٧٥ الف شغيل من شغيلة المدينة .

احتدمت المعركة خلال اكثر من شهرين على ضفاف الفولغا. وكان هتلر الذي انتابه الغضب الشديد ينهال على قائد القوات الالمانية ، باولوس ، بالاوامر بالاستيلاء على المدينة بأي ثمن . لكن المدينة ظلت صامدة دائما .

وفي الوقت الذي كانت تستمر فيه المعركة ، فقد كانت القيادة العليا السوفياتية تأتي باحتياطيات هامة . اما الويهرماخت فقد مني بخسائر فادحة لم تعوض تقريبا . وكانت النهاية تقترب.

في ١٩ تشرين الثاني ١٩٤٢ ، في الصباح الباكر ، خرق دوي المدفعية صمت السهوب . فان الوف فوهات النار قد صبت على العدو اعصارا عنيفا بصورة خارقة . وقد أسكتت المدفعية النازية ، وطمرت الخنادق . واندفعت القوات السوفياتية الى الإمام ، وانطلقت الوحدات المدرعة والميكانيكية الى الثغرات

وشرعت في شق طريقها الى الدون . وفي ظرف مئة ساعة ، فان طلائع القوات التي انطلقت من شمال وجنوب ستالينغراد قد أمنت الاتصال وانجزت التطويق . وقد وقعت ٢٢ فرقة هتلرية (اكثر من ٣٠٠ الف ضابط وجندي) ، بين فكي الكماشة . وبعد احكام الطوق حول المحاصرين استأنفت القوات السوفياتية زحفها نحو الجنوب الغربي .

من اجل تجنب اراقة الدماء دون جدوى ، اقترحت القيادة السوفياتية على الوحدات المطوقة القاء السلاح . ولكن اطاعة لامر هتلر ، رفض العدو الاستسلام . وعندئذ شرعت جيوش جبهة الدون بقيادة الجنرال روكوسوفسكي ، الذي أصبح ماريشالا الان ، في ١٠ كانون الثاني ١٩٤٣ بابادة العدو عن طريق عزل وحداته بعضها عن البعض الاخر . وقد اسر الفيلد مارشال باولوس ، وهيئة أركانه وحوالي ٩٠ ألف جندي وضابط . وقد زال من الوجود الجيش السادس الالماني ، الذي كان قد ساهم فيما مضى ، في سحق فرنسا .

شهدت القيادة الالمانية مع دفن نخبة فرقها على الجبهة الالمانية السوفياتية ، دفن مشاريعها في استعباد الشعوب والفتح وانسيطرة العالمية . وخلال حملة شتاء ١٩٤٢ ـ ١٩٤٣ ، حرمت القوات السوفياتية العدو من اكثر من مئة فرقة أي ٤٠ ٪ من مجموع قوات جبهة الشرق في تشرين الثاني ١٩٤٢ . وقد خسر الويهرماخت مليونا و ٢٠٠ ألف قتيل وإسير .

على هذا النحو انتهت هذه المعركة الكبرى . وقد وصف المؤرخ الالماني البورجوازي المعاصر ، غورليتس ، اهميتها على النحو التالي : « انها اعظم هزيمة سبق ان منى بها الجيش الالماني » . وكتب المؤرخ الايطالي باتاليا ، ان انتصار الجيش السوفياتي على الفولغا قد سجل « ذروة الحرب العالمية الثانية ، ليس على الصعيد العسكري فحسب ، بل أيضا من وجهة النظر البسيكولوجية » . وفي حين أعلن الالمان أربعة أيام حداد وطني ، فان السوفياتيين وجميع الناس الشرفاء في الارض كانوا يبتهجون للانعطاف الذي اتخذته الحرب . وفي المعركة الكبرى على الفولغا ، شهدت الانسانية بزوغ فجر الانتصار على النازية . وقد تضاعف النضال المعادي للفاشية مساعدا بذلك اتساع المقاومة في البلدان

الاوروبية المحتلة من قبل الهتلريين . واشتد النشاط السري في المانيا ذاتها ، باشتراك الوطنيين الالمان ، وكذلك الاسرى والمبعدين الروس ، والبولونيين ، والصرب ، والفرنسيين ، والبلجيكيين ، ومن رعايا بلدان عديدة اخرى . ان اللجنة الوطنية، لجنة « المانيا الحرة » ، التي تأسست في صيف ١٩٤٣ على الاراضي السوفياتية ، قد لعبت دورا كبيرا في حشد العناصر المعادية للفاشية لدى الشعب الالماني .

خيبات جديدة

في صيف ١٩٤٣ كان الجيش السوفياتي يمثل قوة هائلة . وكانت الجبهة تتلقى من المؤخرة كمية أعظم دائما من الاسلحة والذخائر . وكانت قد انشئت جيوش مدرعة جديدة ، وتعزز الطيران ، واصبحت القوات تملك المزيد من المدافع ، والاسلحة الاوتوماتيكية ، ومدافع الهاون . وقد أصبحت لدى الرجال والملاكات خبرة أعظم في الحرب . وكانت حركة الانصار تتسع في مؤخرات العدو ، والقوات السوفياتية تستعد لمعارك حاسمة. وكان قسم هام من اراضي البلاد لا يزال محتلا من قبل النازيين وكان ملايين الناس ينتظرون بفارغ الصبر ساعة التحرر .

كان الويهرماخت يستعد لذلك هو ايضا . ونظرا لان الكارثة التي اصيب بها على ضفاف الفولغا قد اثارت غيظه الشديد ، كان يحشد الوسائل للثار . وأعلنت في المانيا التعبئة العامة . ورفعت قوات جبهة الشرق الى ٢٣٢ فرقة . وكان النازيون يعلقون آمالا كبرى على دبابات النمر والفهد وعلى مدفع فرديناند المقطور ذاتيا . وكانوا يفكرون بأن تعزيز درع هذه الدبابات كان يجعلها منيعة أمام المدفعية والدبابات السوفياتية . لكنهم كانوا سيئي الاطلاع على المدافع السوفياتية الجديدة التي ثبت انها قادرة على اختراق هذه الصفائح الفولاذية ، وكانوا يجهلون بطولة جنود الاتحاد السوفياتي التي تكونت في المعارك ، هؤلاء الجنود الذين لم يعد أي سلاح ـ معجزة قادرا على ارهابهم.

وقد اختار الفاشيون لهجومهم قطاع كورسك وبيلغورودو ، حيث كانت القوات السوفياتية قد أوجدت نتوءا بشكل قوس دائرة كان يخترق بصورة عميقة دفاع العدو . وبالضرب انطلاقا



لقد حرر القرية التي
ابصر فيها النور .

من أوريل وبيلغورود ، كان النازيون يعتــزمون القضاء على هذا النتوء وتطويق القوات الموجودة فيه . لكن القيــادة السوفياتية فطنت لنوايا العدو واتخذت تدابيرها . ان هذا الطعم المغري جدا بالنسبة للنازيين قد حول الى معسكر محصن ، وعززت أطرافه ، التي كان النازيون يعتزمون مهاجمتهــا ، تعزيزا شديدا . وقد جيء بوحدات من المشاة ، والمدرعات ، والمدفعية ، ومدافع عديدة مضادة للدبابات ، وكمية كبيرة من الطائرات . وكان العدو يخضع لمراقبة دائمــة .

في فجر ٦ تموز ١٩٤٣ ، تحرك الويهرماخت . وبدات مئات الدبابات والمدافع ذاتالقطر الذاتي زحفها نحو المدافعالسوفياتية. وفي الجو تجابهت الطائرات ، وبدات معركة كورسك .

وقد وجه النازيون ضرباتهم الرئيسية نحو الاماكن المحددة التي كانت تنتظرهم فيها القــوات السوفياتية مستنــدة الى تحصينات متينة . الا ان الضغط المارس كــان قويا الى درجة انه اقتضى الكثير من الضحيات والعنــاد لصده . ولم يعرف

التاريخ العسكري مثل هذا الحشد للرجال وللوسائل على مثل هذه المساحة الصغيرة . فعلى مسافة ٤٠ ــ ٥٠ كلم من جهتي كورسك احصي لدى الطرفين رقم يصل الى ١٠ آلاف دبابة ، ومدفع ذات قطر ذاتي . وكان عبء المعركة الرئيسي يقع على كاهل رجال المدفعية . لكن هؤلاء كانوا يعرفون عملهم ، ولم تبرر دبابات النمر والفهد الآمال التي علقت عليها . كان المشاة يقاتلون ببسالة ، وكان الطيارون يبدون كل مهارتهم . في تلك الفترة بالذات دشن الرقيب كوجيلوب ، بطل الاتحاد السوفياتي ثلاث مرات ، والذي يحمل رتبة ماجور جنرال الان ، لوحة صيده . وقد تميز طيارون سوفياتيون عديدون آخرون مثل الكسندر غوروفيتس ، الذي سجل في تحليق واحد ، حادثا فريدا من نوعه ، اذ أسقط تسع طائرات عدوة .

ان الايام الاربعة الاولى من المعركة على محور اوريل ــ كورسك قد كلفت الويهرماخت اكثر من ٨٠٠ دبابة، واكثر من ٤٠ الف جندي وضابط ، ومئات الطائرات . ولم يكن الألمان اسعد حظا في جنوب كورسك . وكانوا قد وجهوا ضربة قوية بصورة خارقة في اتجاه بروخو روفكا . وفي أعظم معركة دبابات عرفها التاريخ خسروا أكثر من ٤٠٠ دبابة في اليوم الاول للهجوم. كان الهتلريون يلهثون . وقد شهدوا تبخر كل الاحتياطي الذي قضوا ذلك الوقت الطويل في تكوينه . ولم يكتف السوفياتيون بالدفاع عن مواقعهم ، بل أوجدوا الظروف الملائمة لاستعادة المبادرة .

هكذا كان في الواقع هدف القيادة العليا السوفياتية . وفي صباح ١٢ تموز تحرك الجيش السوفياتي باتجاه أوريل ، وبيلغورود ، وخاركوف . وقد خرقت الجبهة العدوة بسرعة . ولم تستطع الهجمات المعاكسة الضارية ، من قبل القوات الجديدة التي احضرت على عجل ، وقف التقدم السوفياتي . وفي ٥ آب حررت أوريل وبيلغورود ، وفي ٢٣ منه حررت خاركوف. وبدأت اوكرانيا تستعيد حريتها . وفي ٦ تشرين الثاني حررت كييف .

لم يظل الانصار الاوكرانيون على الهامش . فان فصائل كوفباك ، ورودنييف ، وسابوروف وغيرهم من القادة قد تميزت بغارات جريئة . وقد اظهر معجزات من الشجاعة جنود اللواء

الاول التشيكوسلوفاكي المستقل ذاتيا ، الذي انبثق عنه فيما بعد فيلق الجيش الشعبي التشيكوسلوفاكي .

ان هزيمة الويهرماخت الساحقة فـي كورسك قد استهلت الكارثة . وقد اقتربت نهـاية الكابوس .

* * *

خلال عام ١٩٤٣ احرز الجيش السوفياتي نجاحات رائعة . وقد انقلب الوضع نهائيا لمصلحته ، واصبح الجذر الهتلري مـن الارض السوفياتية عاما . وتراجع خط الجبهة من ٥٠٠ الـى ١٣٠٠ كلم نحو الغرب . وتحررت ١٦٠ مدينة واكثر من ٣٨ الف ناحية تضم عشرات الملايين من مواطنينا .

وقد حقق الجنود والضبـاط السوفيات الكثير من المآثر خلال الهجوم ، وفيما يلي نورد احدها :

في ٢٣ شباط ١٩٤٣ يوم الـذكرى السنويـة الخامسة والعشرين للجيش الاحمـر ، فان السرية التي كـان يخدم فيها الجندي البسيط في الحرس ، ماتروسوف ، قد تلقت الامر بطرد

لقد انتهت الحرب بالنسبة الى هؤلاء .



العدو من قريــــة تشيرنوشكي (في مكان غير بعيد من مدينـــة فيليكييــه لوكي) .

ان فريق الجنود السوفيات بقيادة الملازم الاول ارتيوخوف كانت قد اوقفته النار القتالة لرشاش محصن . وكان ماتروسوف الذي اقترب الى مسافة ٤٠ مترا تقريبا ، يرى الطلقــات العدوة تحصد رفاقه . وكان الاحياء منهم المنطرحين أرضا في خطر . ولم يكن الامر قد نفذ بعد . وكان ينبغــي اسكات الرشاش مهما كان الثمن . واجتاز الجندي الشاب قسما مـــن المسافة ببضع قفزات ثم اخذ يزحف . والقى قنبلة يـــدوية ، واطلق رذاذا من مدفعه الرشاش ، وسمع صـــــوت انفجار . وسكت الرشاش العدو . ونهض رفاق ماتروسوف ، لكن رشاش العـدو استأنف رميه وانطرح الجنود على الارض تكرارا . وقد تعرقل الهجوم مرة اخرى . وعندئذ انطلق ماتروسوف الى الامام وغطى الكوة بجسده. وبعدئذ سكتت فوهة النار العدوة ، وانطلق السوفياتيون واجلوا العدو عن القرية .

ان سرية الحرس المائتين والخامسة والعشرين، التي حارب فيها ماتروسوف ، قد أصبحت تحمل اسمه . وقد قلدته هيئة السوفيات الاعلى للاتحاد السوفياتي ، بعد الـــوفاة ، لقب بطل الاتحـــاد السوفياتي ، وشيد تخليدا لذكراه صرح في مسقط راسه ، في مدينة أوفا . ان مأثرة ماتروسوف ليست فريدة من نوعهـــا . وهناك الوف الابطال أمثاله في صفوف الجيش السوفياتي .

الويهرماخت في طريق الافول

كانت معنويات السوفياتيين ممتازة في عام ١٩٤٤ ؛ ففي موسكو كانت تدوي بصورة متكررة اكثر فاكثر طلقــات المدفعية تحية للانتصارات المحرزة . وكانت النجاحات تتكدس وقد انتزع كل منها بعد جهد ضار .

وفي كانون الثاني ١٩٤٤ ، دحرت قــوات جبهتي لينينغراد وفولخوف (بقيادة الجنرالين غوفوروف وميرتسكوف) وبمساعدة اسطول البلطيق والانصار ، الوحدات العـدوة التي كانت تطوق لينينغراد وقـــذفت بها الى مسافـــة تبعد مئات الكيلومترات عن المدينة .

وبعد ذلك استأنف الجيش السوفياتي عمله في أوكرانيا . وفي اوج فترة ذوبان الجليد ، فان جبهتي اوكرانيا الاولى والثانية (بقيادة الجنرالين فاتوتين وكونييف) قد دحرتا وحدات نازية هامة على الضفة اليمنى للدنيبر . وقد طوقت ودمرت قرب مدينة كورسون ـ شيفتشنكوفسكي عشر فرق ولواء (٨٠ الف جندي وضابط) .

ووجهت قوات الجبهتين الاوكرانيتين الثالثة والرابعة (بقيادة الجنرالين مالينوفسكي وتولبوخين) ضربات قاسية الى العدو فيجنوباوكرانيا ، واجتازت في كريفوي روغ وآبوستولوفو البوغ الجنوبي ، ثم الدنيستر المرتفع المياه . وفي نهاية اذار ، هاجمت الجبهة الاوكرانية الثالثة نيقولاييف واوديسا .

كان ذوبان الثلوج يجعل الطرق غير صالحة للسلوك . وكان الجنود انفسهم ، وبمساعدة متطوعين من السكان المحليين من نساء ، واحداث ، ومسنين ، يحملون المدافع ، والقذائف ، والالغام ، وصناديق الذخيرة . ولم تلبث ان سقطت نيقولاييف ثم تبعتها أوديسا في ١٠ نيسان .

ان قوات الجبهتين الاوكرانيتين الاولى والثانية التي قطعت اوصال دفاع العدو ودحرت الويهرماخت ، قد حررت فينتسا ، وكامينيتس ـ بودولسك ، وتشيرنوفتسي ، واجتازت البروت وبلغت حدود تشيكوسلوفاكيا ورومانيا . وخرج مسرح العمليات من الاراضي السوفياتية .

« أعيدوا القرم ! » . هذه الصيحة دوت في ٨ نيسان ١٩٤٤ . وبدات الجبهة الاوكرانية الرابعة هجومها ضد الـ ٢٠٠ الف نازي الذين كانوا قد تحصنوا في شبه الجزيرة . وفي ظرف يومين خرقت خطوط بيريكوب . وفي الوقت نفسه فان جيش الساحل المستقل (بقيادة الجنرال ايريمنكو) ، تدعمه سفن اسطول البحر الاسود ، نظف شبه جزيرة كيرتش . ان السوفياتيين الذين كانوا يلاحقون العدو المنسحب قد حرروا سيمفيريبول وانطلقوا نحو سيباستوبول . وقد واجههم العدو بمقاومة ضارية . وقد حول جبل سابون ، في مشارف المدينة ، الى نقطة ارتكاز خطيرة . وقد مضى على العدو يومان من المعارك الضارية ابدى فيها جنودنا معجزات من البطولة والشجاعة . وفي ٩ أيار عادت

سيباستوبول الينا .

وجاء تكرارا دور الشمال في التحرر . ففي كاريليا خرقت قوات جبهتي لينينغراد وكاريليا في حزيران ١٩٤٤ دفاع العدو وحررت بتروزافودسك وفيبورغ ، وقضي على الخطر الذي كان يخيم على لينينغراد انطلاقا من الشمال .

ان الهتلريين الذين اصبحوا على عتبة انهيار كامل اضطروا لان يسحبوا من الغرب على عجل عشرات الفرق . وكان من المؤكد ان الجيش السوفياتي ، حتى دون جبهة ثانية ، كان قادرا تماما على التغلب على الغزاة .

وبالاستفادة من واقع ان القسم الاكبر من قوات هتلر كانت منشغلة في الجبهة السوفياتية ، نزلت القوات الانكليزية الاميركية في بداية حزيران ١٩٤٤ في الشواطىء الشمالية لفرنسا ، وفتحت بذلك الجبهة الثانية في اوروبا . ان المساعدة المقدمة للاتحاد السوفياتي ، وان تكن متأخرة ، لكنها كانت مع ذلك مساعدة فعلية . بيد ان مسرح العمليات الرئيسي ظل مسرح الشرق . وقد بقيت محشودة فيه ثلاثة ارباع القوات النازية ، وكان ملايين الناس لا يزالون مستعبدين .

جرت المعارك الرئيسية في عام ١٩٤٤ من اجل بيلوروسيا. وكان العدو قد حشد فيها أكثر من مليون مقاتل مزودين ، بوفرة ، بالمعدات الحديثة . وكانت نخبة هذه القوات قد تلقت الامر بسد « باب المانيا » بأي ثمن .

ان بيلوروسيا هي منطقة غابات ، وأنهر ، ومستنقعات ، يسهل الدفاع عنها . لكن هذه العقبات لم تكن لتستطيع تثبيط عزائم السوفياتيين .

وانتقلت الى الهجوم في ٢٣ حزيران ١٩٤٤ قوات الجبهات الاولى والثانية والثالثة لبيلوروسيا وقوات جبهة البلطيق الاولى (الجنرالات روكوسوفسكي ، وزاخاروف ، وتشيرنياخوفسكي ، وباغراميان) ، وخرقت الجبهة ووضعت خارج المعركة القسم الاكبر من القوات التي كانت تجابهها . وامام فيتبسك وبوبرويسك طوقت وابيدت قوات تصل الى عشر فرق . وفي ٣ تموز سقطت منسك التي وقع فيها في الشراك اكثر من ١٠٠ الف نازي . وفي نهاية تموز نظفت بيلوروسيا والقسم الاكبر من لتوانيا ، وتم



المدفعية المضادة للطائرات تراقب

الوصول الى نهر الفيستول . وقد حمل الجنود السوفيات الحرية الى أشقائهم البولونيين ، واجتـــازوا نهر النيمـــن ووصلوا الى حدود المانيـــا .

سجل الشعب السوفياتي حصادا جديدا من المآثر . ونود أن نشير الى صـــلابة الكومسومولي يوري سميرنوف ، جندي الحرس البسيط . فهذا الجندي الذي جرح أمام أورشا ، وقع في قبضة العدو . وأمانة منه لقسمه لم ينبس ببنت شفة تحت التعذيب ولم يدل بأية معلومات ومات ميتة الابطال . وفي مكان غير بعيد عن بوبروويسك ، فان الرقيب ميخائيل بوختييف قـــد وجه دبابته التي أشعل النازيون النار فيها نحو قطار مصفـــح كان يسد بمدفعيته الطريق أمام قواتنا . وقد صـــدم بوختييف بأقصى السرعة وسط القطار ودمر ثلاثـــة مواضع قتـــال تحمل ابراجا مسلحة لمدافع ورشاشات . وعندئذ استطاع فوج الدبابات الذي ينتمي اليه ، احتلال المحطة دون خسائر .

قدم الانصار للجيش السوفياتي مساعدة قيمة جدا فـــي معارك بيلوروسيا التي عمل في أراضيها اكثر من ٣٠٠ الف نصير.

وكانت توجد مناطق كاملة لم يكن المحتلون يجرؤون على الظهور فيها. وكان الانصار يسيطرون على ٢٠ مركز قضاء وعلى الوف النواحي. ومنذ بداية الهجوم السوفياتي ، شدد الانصار حرب السكك الحديدية ، فاحتلوا عقد المواصلات ، ونقاط المرور الرئيسية ، وزرعوا الذعر في مؤخرة العدو ، ووجهوا الضربات الى المحاربين النازيين . ان اسماء الانصار زاسلانوف ، وكوزلوف وغيرهما معروفة جيدا لدى السوفياتيين . وكان الناس يلتحقون بالانصار اسرا اسرا . وهكذا فان الابناء الخمسة والبنات الخمس للفلاح تيلبوك قد انشأوا مفرزة قامت بهجمات جريئة ضد النازيين .

اشترك في هذا النضال مئات الوطنيين من بلدان اخرى . وكان بين صفوف الانصار البيلوروسيين عدد كبير من الاجانب . وتقديرا لاشتراكهم الفعال في معارك الانصار في بيلوروسيا والمآثر المحققة تجاه العدو ، منحت أوسمة ومداليات سوفياتية الى ٧٠٣ بولونيين ، و ١٨٤ سلوفاكيا ، و ٣٣ تشيكيا ، و ٣٦ يونانيا ، و ٢٥ ألمانيا ، و ٢٤ اسبانيا ، و ١٤٠ فرنسيا ، و ٦ يوغوسلافيين ، ومجريين اثنين ، و ٨ نمساويين ، وممثلين عديدين لشعوب اخرى .

وفي منتصف تموز ، حثت قوات الجبهة الاوكرانية الاولى ، بقيادة المارشال كونييف ، سيرها عبر اوكرانيا الغربية . وقد حطمت مقاومة العدو الضارية وتعرض الويهرماخت لخسائر فادحة في الرجال والعتاد. وعادت من جديد مدن لفوف ، ودروغوبيتش ، وستانيسلاف سوفياتية ، وتم اجتياز حدود بولونيا واحتلال مواقع ملائمة من اجل استئناف الهجوم نحو الغرب .

وفي آب ١٩٤٤ طوق السوفياتيون ودمروا ، في منطقة كيشينيف وجاسي ، ٢٢ فرقة ألمانية وعدة فرق رومانية . وقد تميزت قوات المارشال مالينوفسكي بصورة خاصة في هذه المعارك التي شهدت تحرر عاصمة مولدافيا السوفياتية ، كيشينيف .

وفي خريف ١٩٤٤ كان مجمل الاراضي السوفياتية قد تحرر من المحتلين ، وبقي فقط قسم من جمهوريات البلطيق بين ايدي العدو . ولكن هناك ايضا اصبحت أيامه معدودة . فان هجوما قويا من قبل جبهتي لينينغراد والجمهوريات البلطيقية ، يدعمه اسطول البلطيق ، قد وضع النازيين في وضع حرج ، وحشر

٣٠ فرقة بين ليبـــافا وتوكومس ، لم تلبث أن أبيدت . وتخلت فنلندا عن تحالفها مع هتلر . واعلنت الحرب ضده .

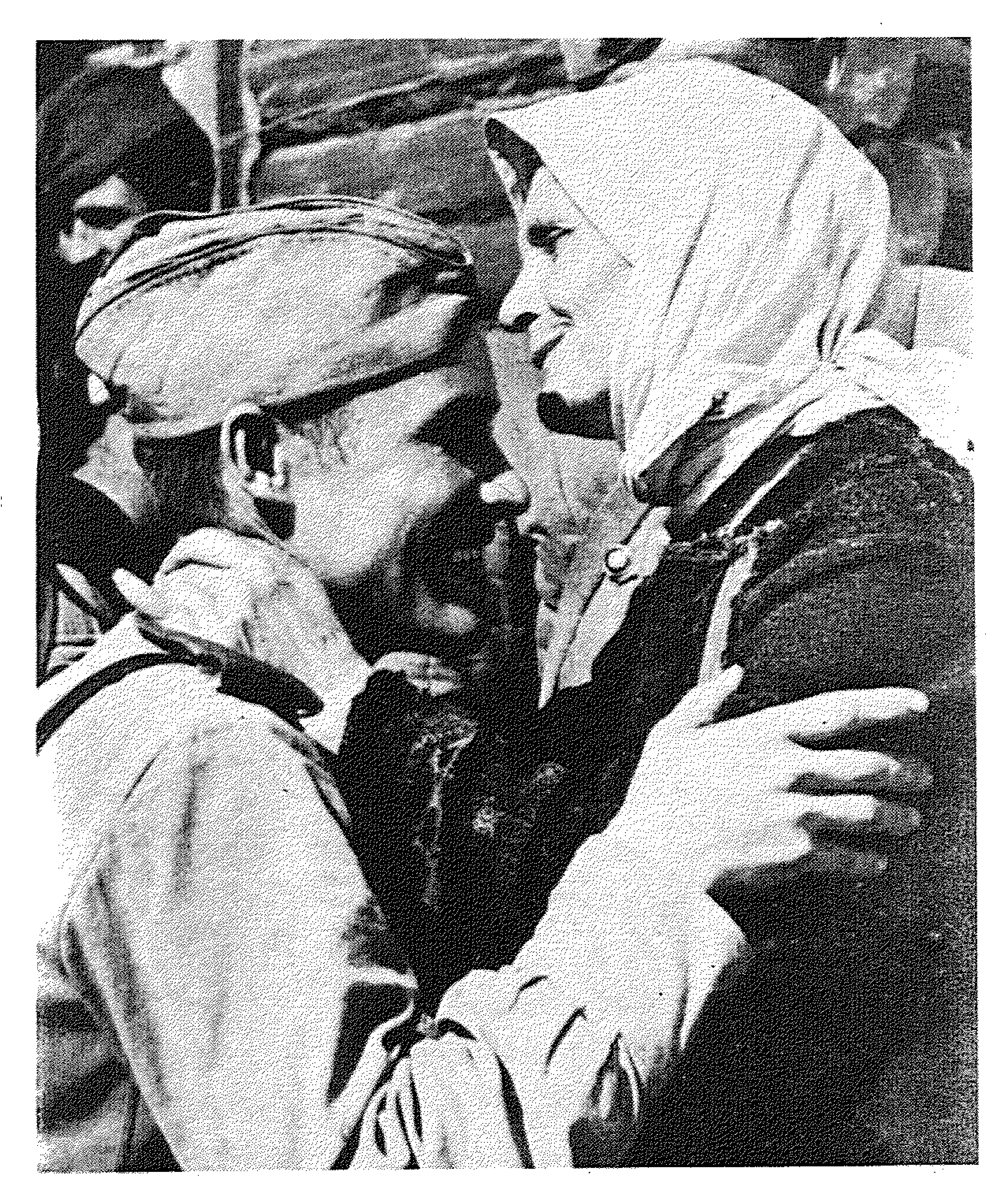
شرعت القوات السوفياتية عندئذ في تحرير الشمال الكبير حيث كان لا يزال العدو باقيا منذ ثلاثة اعوام . وقد تغلب البحارة السوفيات بصورة ساطعة على العـــدو بالرغم مـــن البرد الكبير ورياح القطب الشمالي الثلجية . وتميز بصـــورة خاصة بحارة الغواصات بقيادة الربابنة كوليشكين، وستاريكوف، وفيسانوفتش، ويوسيلياني ، وشتشدرين ، وبحارة الزوارق السريعـــة بقيادة شابالين ، بطل الاتحـــاد السوفياتي مرتين . ولم يتخلف عنهم طيارو الطيران البحري . ففي نهايـــة العام الاول من الحرب اسقط بوريس سافونوف ، بطل الاتحـــاد السوفياتي مرتين ، ٢٨ طائرة نازية . وقام فريق الاستكشاف البحري بقيادة فكتور ليونوف بأكثر من ٥٠ غارة على مؤخرات العدو .

بعد أن حررت قواتنا الشمال الاقصى السوفياتي ، ساعدت النروجيين في طرد المحتل من المناطق الشمالية لبلادهم .

وقد انتهى عام ١٩٤٤ نهاية ساطعة للاتحـــاد السوفياتي . فان ١٢٠ فرقة عدوة كانت قد وضعت خـــارج المعركة ، وحرر مجمل الاراضي . وجاء الان دور الشعوب الاوروبية الاخرى في نفض النير الفاشي .

وتشكلت في تلك الاعوام رابطة للشعوب ، حقيقية عالمية ، معادية للفاشية . وعلى نطاق الدول فقد كـــان الائتلاف بقيادة الاتحاد السوفياتي ، وانكلترا ، والولايات المتحدة ، التي انضمت اليها بالتالي فرنسا المحاربة ودول عديدة اخرى .

ولـــم ينس السوفياتيون ان شعـــوب انكلترا وفرنسا قد خاضت النضال ضد النـــازيين قبل ان اجتـــاح هؤلاء الاتحاد السوفياتي بزمن طويل ، وانها خاضت المعركـــة بشجاعة لا تكل طوال مدة الحرب . وبالا سعادة مـــن تأييد المقاومة فـــي بلدان عديدة ، فقد هـــاجم الانكليز ، والفرنسيون ، والاميركيـــون ، النازيين بشدة . ونود أن نشير الى الهجوم الانكليزي في العلمين، في خريف ١٩٤٢ ، والانزال الانغلو ــ اميركي فيافريقيا الشمالية، في تشرين الثاني من نفس العام ، الذي انتهى بالتحرير التام لهذه



هكذا كان سكان القرى المحررة يرحبون بالجنود السوفيـاتيين .

المنطقـــة في أيار ١٩٤٣ ، وحمـلة صقلية في صيف ١٩٤٣ ، والانتصارات المحرزة في ايطاليا الجنوبية اعتبارا من ايلول١٩٤٣ ، واخيرا ، والشيء الاهم ، نـــزول الحلفاء فـي النورماندي في حزيران ١٩٤٤ ، الذي عقبته سلسلة مـــن العمليات الهامة جدا للقوات الاميركية ، والانكليزية ، والفرنسية في أوروبا الغربيـة حتى الالتقاء مع القوات السوفياتية على نهر الالبه .

· الا ان حرية عشرات ملايين الاوروبيين قد أحرزت بصورة رئيسية بفضل النضال المسلح الذي خاضه خـــلال ثلاثة أعوام المحاربون السوفيات على أراضيهم .

وقبل التصدي للاتحـــاد السوفياتي ، كـان النازيون قد استعبدوا التشيكيين ، والسلوفاكيين ، والبولونيين ، والفرنسيين، والبلجيكيين ، والهولنـــديين ، والدانماركيين ، واليونانيـــين ، والصربيين ، والالبانيين ، والنروجيين ، في حين ان الحكومـــات الموالية للفاشية في بلغاريا ، والمجر ، ورومانيا ، كانت قد وضعت من تلقاء ذاتها بلدانها تحت تصرف هتلر . وكانت انكلترا مهددة بالغزو . وكان النازيون يريدون ان يجعلوا ، كمستعمرات لهم ، البلدان الافريقية ، والشرقـــين الاوسط والادنى . ثم هـــل ان شعبي المانيا وايطاليا كانا هما أيضا أحرارا من الاضطهاد ؟

ان « النظام الجديد » الـــذي اقامه المحتلون في البـلدان التي سيطروا عليها ، كان يعني الارهاب ، والعنف ، والاستثمـــار اللاانساني ، والاهانة للشعور الوطني للشعـــوب . وقد كسيت اوروبا بشبكـــــة من معسكرات الاعتقال ، و « مصانع الموت » الرهيبة . ولا يمكن أن نشير دون ارتعاش الى مؤسسات الابادة التي تمثلت في داشو ، وأوشويتس ، ومايدانيك ، وبوخونوالد ، وساشسنهوزن ، حيث قتل ملايين الاوروبيين .

لم تقبل شعوب البلدان المحتلة سيطرة الغزاة . وقد خاضت النضال في سبيل القضية المقدسة لحريتها . ان فصائل وجيوش الانصار ، ومجموعات المقاومة ، والشبكات السرية المعادية للفاشية، كانت تضم مئات الوف الوطنيين ، ملحقة بالمحتل وخدمه خسائر ملموسة ، ومرغمة العدو على تخصيص قـوات هامة لتغطيـــة مؤخراتـــه .

ان الانتفاضة الباريسية في ١٩ ــ ٢٥ آب ١٩٤٤ ، التي اشترك فيها ٨٥ الف وطني ، تشكل صفحة من الصفحات الاكثر بطولية للنضال المعادي للفاشية. ان جميع السكان، الذين استأنفوا تقاليدهم الثورية ، قد دعموا محاربيهم . وفضلا عن باريس فقد حرر الشعب الثائر بنفسه قبل وصول القوات الحليفة ، مرسيليا،



مدفعية القذائف الصاروخية « كاتيوشا » .

وليون ، وتولوز ، وكليرمون ـ فران ، ومقاطعات بأسرها . وقد لاقى مئات الوف الفرنسيين فيهذا النضال موتا مجيدا . وتعرض الحزب الشيوعي لخسائر ملموسة جدا (حوالي ٧٥ الف رجل) الامر الذي اكسبه أسم « حزب الشهداء » .

وقدر السوفياتيون ارفع التقدير النصيب الذيساهمت به شعوب وجيوش انكلترا ، وفرنسا ، والولايات المتحدة ، ووطنيو بلدان عديدة في العالم ، في النضال ضد الهتلرية . وهم لن ينسوا ابدا اسماء الطيارين المجيدين في سرب نورماندي ـ نيمن، بيار بوياد ، وجاك اندره ، ولابويب ، ولويس دلفين ، ورفاقهم . وهم لن ينسوا التشيكي جون ناليكا الذى منح لقب بطل الاتحاد السوفياتي تقديرا لمآثره في حركة الانصار في اوكرانيا . ولن ينسوا جنود وضباط الجيش البولوني والفيلق التشيكوسلوفاكي الذين خاضوا معاركهم الاولى في أراضي الاتحاد السوفياتي الى جانب جنودنا .

وفي عام ١٩٤٤ ، طاردت القوات السوفياتية خارج حدودها الوحش الفاشي المثخن جراحا والذي كان لم يزل بعد خطرا . وكان المحاربون السوفيات مفعمين بالانفعال لدى دخولهم اراضي البلدان الاخرى ، التي لم يكونوا بالنسبة لها غزاة ومضطهدين (بكسر الهاء) ، بل محررين . واصدقاء ، واشقاء . وكانت الشعوب تنظر اليهم بهذا الشكل .

رومانيا : دخلت قواتنا أراضي رومانيا في ربيع ١٩٤٤ . ان سحق مجموعة كيشينيف ـ جاسي (آب ١٩٤٤) قد اوجد ظروف تحرر البلاد كلها . وخاض الشعب الروماني النضال ضد حكومته الرجعية التي اسقطها في ٢٣ آب . وفي ٣١ من الشهر نفسه ، رحب سكان بوخارست ترحيبا حماسيا بالمحاربين السوفيات . وقطعت البلاد علاقاتها مع المانيا وساهمت قواتها في المرحلة النهائية للمعارك ضد النازيين .

بولونيا : ان بولونيا، بضحاياها الذين يبلغ عددهم ستة ملايين (٢٠ ٪ من السكان) كانت قد عرفت في ظل الاحتلال النازي استشهادا حقيقيا . وقبل وصول الجيش السوفياتي ، فان الوف الوطنيين المحتشدين داخل المنظمتين العسكريتين (غفارديا نيودوفا وآرميا ليودوفا) كانوا قد سبق ان بدأوا القتال ضد

المحتل . وفي ٢٢ تموز دخلت قوات الجبهة البيلوروسية الاولى الى بولونيا وحررت شيلم ، ثم حررت في ٢٤ تموز مدينة لوبلن .

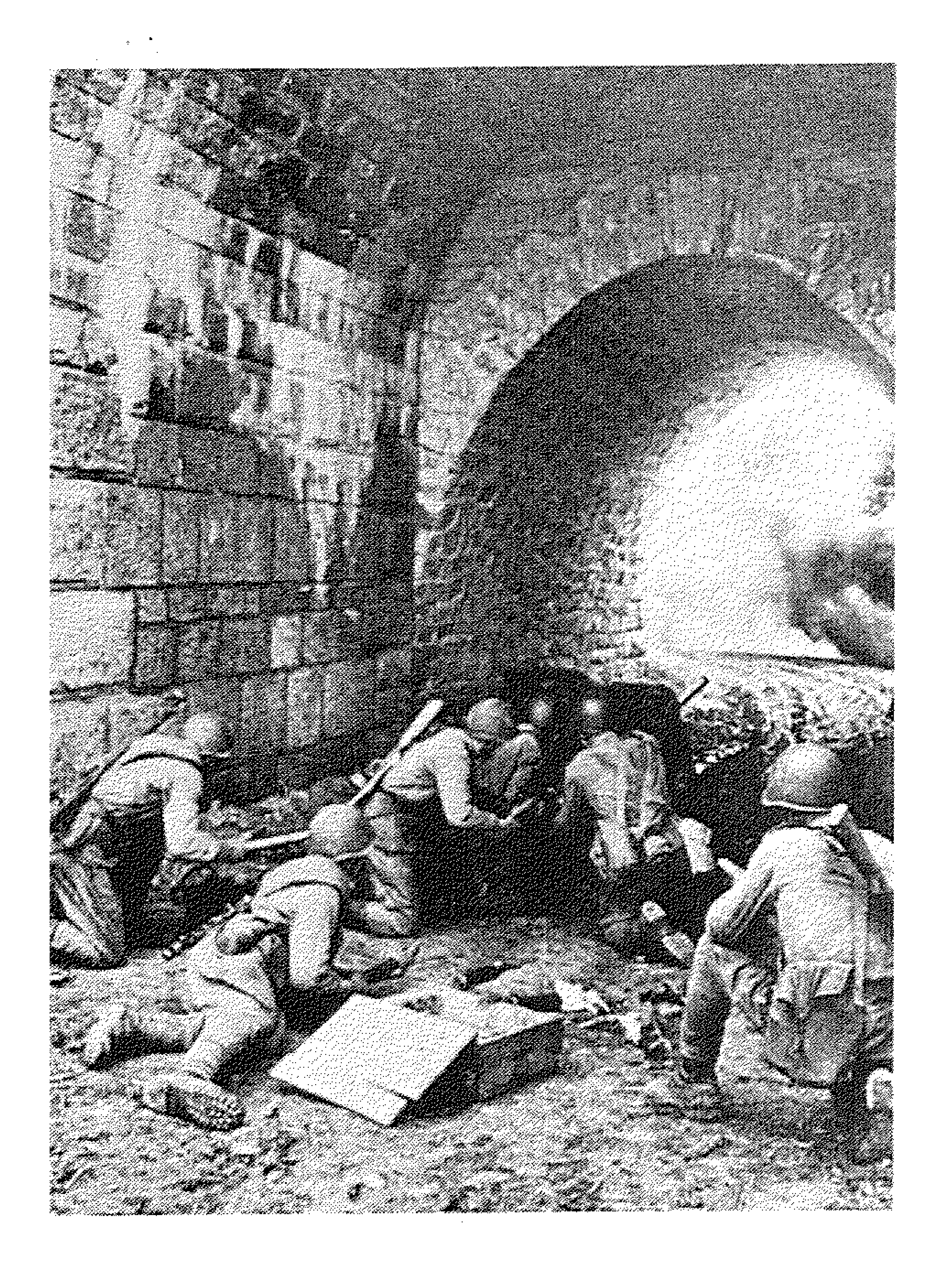
وفي ٢٦ تموز ١٩٤٤ أصدرت الحكومة السوفياتية بيانا حول اهداف عملياتها أعلنت فيه ان الجيش السوفياتي يحارب في بولونيا باعتباره في أراضي دولة ذات سيادة وصديقة وانه لن يقيم فيها تراكيب ادارية ويعتبر ان ذلك هو من اختصاص الشعب البولوني . وهذه هي سياسة الاتحاد السوفياتي في علاقاته مع جميع البلدان التي منحها مساعدته ضد المحتلين الفاشيست .

وذكر رئيس الكراجووا رادا نارودووا ، بوليسلاف بايروت ، في خطابه في ٣١ كانون الاول ١٩٤٤ ما يلي : « لولا مساعدة الاتحاد السوفياتي ، لما كانت بولونيا قادرة بقواتها لوحدها ان تتحرر من العبودية الهتلرية . وحصلت بولونيا على المساعدة المطلوبة لاعادة تكوين جيشها ولاعادة استقلالها .

وكان الشعب السوفياتي هو الذي قدم هذه المساعدة . فان أعمال جيشه قد أدت في ١٧ كانون الثاني ١٩٤٥ الى تحرير فرصوفيا ثم بعد وقت قصير الى تحرير بولونيا كلها . وانقذ



فلندخن !



في بولونيـــا .

الزحف السريع للجيش السوفياتي ، خــــلال شتاء ١٩٤٥ ، من الموت ألوف المعمين في معسكري مايدانيك وأوشويتز .

واشترك الى جانب قواتنا فـي تحرير بولونيا وفي معركة برلين الجيشـان البولونيـــان الاول والثاني ، اللذان جهزهمـــا الاتحاد السوفياتي .

تشيكوسلوفاكيا : كانت تشيكوسلوفاكيا من الضحايا الاولى للسياسة النازية. وخاضت القوات السوفياتية والفيلق التشيكوسلوفاكي المؤلف من الوطنيين التشيكيين في الاراضي السوفياتية، النضال في سبيل تشيكوسلوفاكيا في خريف ١٩٤٤ . ودشنت معركة مضيق دوكلا تحرير هذه البـــلاد الذي عجلته الانتفاضة الشعبيـــة السلوفاكية . ومنع دخول الوحدات السوفياتية الى سلوفاكيـــا



سكان دميتروفسكي ـ اورلوفسكي وكهنتها يحيون الجنود لذين طردوا الفاشست.

الهتلريين من ان يحققوا بنجاح الانتقام الوحشي الذي كانوا يفكرون بالقيام به ضد السكان والانصار في هذه البلاد . وكتب التشيكوسلوفاكي ستافان راجس ما يلي : « لقد رحب الشعب السلوفاكي بمحاربي وضباط الجيش الاحمر باعتبارهم أشقاء . وقدم السكان لضيوفهم الاعزاء الآتين من الشرق الخبز والملح واستقبلوهم بالترحاب الشديد ، وبأذرع مفتوحة ، وبدموع الفرح والحب ، وبالاقوال المنفعلة اعترافا بالجميل على هبة الحرية . . . »

وادت الاعمال المشتركة للقوات السوفياتية والتشيكوسلوفاكية في ٩ أيار ١٩٤٥ الى تحرير مجمل أراضي البلاد .

ان كليمنت غوتوالد ، الذي أصبح بالتالي رئيسا لجمهورية تشيكوسلوفاكيا ، قد اعرب أيضا عن شكر شعبه لمحرريه بالعبارات التالية : « في دوكيل ولد الشعار الذي ترسخ بعمق في قلب وضمير شعبنا : مع الاتحاد السوفياتي الى الابد ! » .

بلغاريا : ان شعب بلغاريا مرتبط بالشعب الروسي بروابط قديمة، بصداقة نشأت في القرن الماضي أثناء النضال المشترك ضد النير

التركي . وهذا ما تذكر به الصروح العديدة المشيدة في بلغاريا تخليدا لذكرى الجنود الروس .

وكانت الحكومة الملكية البلغارية ، خلافا لارادة شعبها ، قد فتحت أراضيها أمام جيوش هتلر . الا ان الرجعية نظرا لمعرفتها مشاعر الصداقة بين الشعبين البلغاري والروسي ، لم تقدم على ارسال قوات بلغارية الى الجبهة الالمانية السوفياتية . وقد خاض الوطنيون البلغار خلال الحرب نضالا شجاعا ضد الفاشية .

في ٨ أيلول ١٩٤٤ ، اجتاز الجيش السوفياتي ، على مدى واسع ، الحدود البلغارية . وقد استقبله الشعب باعتباره محررا له ومنحه مساعدته التامة. وكتبت صحيفة **اوتشبستفيني فرونت** الصادرة في الجبهة ، في ١٢ ايلول « ان الطريق الذي سلكه الجيش الاحمر نحو العاصمة قد اكتسى بالزهور » .

وشكل الوطنيون البلغار ، بقيادة الشيوعيين ، حتى قبل وصول القوات السوفياتية ، اكثر من ٦٠ وحدة كبيرة من الانصار واعدوا انتفاضة مسلحة ضد المحتلين وخدمهم . وقد شن الهجوم في ليل ٩ ايلول ١٩٤٤ ، واسقطت الديكتاتورية الفاشية ، وانتقل الحكم الى أيدي حكومة الجبهة الوطنية التي أنشأها الشعب . وفي ١٦ أيلول دخلت القوات السوفياتية الى صوفيا .

أعلنت الحكومة الجديدة الحرب ضد المانيا والمجر ، والقت ضد المعتدين بجيش يتألف من نصف مليون جندي ، اشترك الى جانب الجيش السوفياتي في تحرير يوغوسلافيا ، والمجر ، والنمسا .

وكان برنامج الجبهة الوطنية البلغارية ، الذي اقر في شباط ١٩٤٨ ، ينطوي على ما يلي : « ان وجود القوات السوفياتية الشقيقة في أراضي بلغاريا قد حال دون أحتلالها من قبل القوات العسكرية لبعض البلدان الامبريالية التي كانت ستخنق الانتفاضة الشعبية وستجعل من بلغاريا حصنا للرجعية » .

وهكذا فان النضال ضد المضطهدين (بكسر الهاء) الاجانب قد وثق روابط الصداقة بين الشعبين الشقيقين .

يوغوسلافيا : خاضت يوغوسلافيا النضال ضد النازيين فور دخولهم الى البلاد . وشكل الوطنيون اليوغوسلاف فصائل هامة ، ثم في عام ١٩٤٢ شكلوا جيش تحرير وطني حمد عدة فرق عدوة . واصيبت



الهجوم مستمر .

شعوب يوغوسلافيا بخسائر فادحة : مليون و ٧٠٠ ألف رجل ، أي ١٠ ٪ من مجموع السكان . ومع اقتراب الجيش السوفياتي ارتدى النضال المسلح للشعب اليوغوسلافي اتساعا جديدا . فقد أمن الوطنيون السيطرة على مناطق كاملة في البلاد . الا ان أكثرية المدن وثلاثة ارباع أراضي البلاد تقريبا ظلت في أيدي الهتلريين . وفي خريف ١٩٤٤ بلغت قوات الجبهة الاوكرانية الثالثة الحدود . وطلبت القيادة السوفياتية من اللجنة الوطنية لتحرير يوغوسلافيا ، حكومة البلاد الشرعية ، اعطاء موافقتها على الوجود المؤقت للقوات السوفياتية في اراضيها كي تضمن على نحو أفضل نجاح العمليات الجارية ضد العدو المشترك . وقد أعطيت هذه الموافقة .

أتاحت الاعمال المشتركة لقوات البلدين في ٢٠ تشرين الاول تحرير بلغراد ثم مجمل أراضي يوغوسلافيا .

وفي الخطاب الذي ألقاه الماريشال تيتو في ٢٨ تشرين الاول ١٩٤٤ ، في العرض المنظم أحتفالا بتحرير العاصمة اليوغوسلافية، أعلن ما يلي : « أثناء المعارك في سبيل بلغراد ، اتحد محاربو الجيش الاحمر المجيد وجنودنا في النضال المشترك ... وقد ارتوت جميع شوارع بلغراد بدم كل شعوب يوغوسلافيا وابطال

الجيش الاحمر . أبناء الاتحاد السوفياتي العظيم . وهذا بالتحديد هو الذي يعطي الاهمية التاريخيـــة الخارقة للنضال في سبيل بلغــــراد » .

المجر : في عام ١٩٤١ ، وخلافا لمصالح شعبها، اقحمت المجر من قبل حكومتها الموالية للفاشية في الحرب ضد الاتحاد السوفياتي. وتحت ضغط الهتلريين واصلت قواتها المعركة حتى ربيع ١٩٤٥ الى جانب الالمان .

فتحت النكبات التي أنزلت بالويهرماخت على المحور الجنوبي الغربي ، في خريف ١٩٤٤ ، أمـــام الجيش السوفياتي ، أبواب المجر . وفي نهاية أيلول ، فان قوات الجبهات الإوكرانية ، الثانية، والثالثة ، والرابعة ، شنت هجوما قويا كان من أهـــدافه وضع المجر خارج المعركة ، وقد دعمها في ذلك اسطول الدانوب .

وجرت معارك ضارية بلغت شدة قصوى في منطقة بحيرة بالاتون وأمام بودابست . وأبدى العـــدو الذي كان قد أحضر تعزيزات ضخمة ، مقاومة ضارية . ودفع الجيش السوفياتي ثمنا باهظا لانتصاره على قوات المجر العدوة . وبالمقابل تمتع بمساعدة فعالة من قبل الجيشين الروماني والبلغاري .

في ١٣ شباط تم الاستيلاء على بودابست ، وفي ٤ نيسان ١٩٤٥ طهر مجموع اراضي المجر .

وعلى جبل جيليرت في بودابست أقيم نصب تذكاري تخليدا لذكرى الجنود السوفيات الذين خلصـــوا المجر من مضطهديها الفاشيين . وقد نقشت على المسلة العبارة التالية : « اعترافا من الشعب المجري بجميل الابطال السوفياتيين ، محرريه » .

النمسا : كانت النمسا أول فريسة للنازيين . ونظرا لان هتلر كان يعتبر النمساويين بمثابة المان تقريبا، فقد جندهم في الويهرماخت. واذا كان الشعب النمسوي لم يكف أبدا عن التـوق لاستقلاله ، الا انه لم يستطع استعادة هذا الاستقلال الا بعد هزيمة النازيين وتحرير النمسا .

وكانت اللحظة الحاسمة لذلك ، تحقيق القوات السوفياتية لعملية فيينا التي خاضتها في ١٦ اذار ١٩٤٥ وحدات الجبهتين الاوكرانيتين الثانية والثالثة واسطـــول الدانوب . وبالرغم من ضراوة مقاومته ، فان العدو قد تراخت عزيمته . وفي ٥ نيسان



الهجوم بالسلاح الابيض

كانت المعارك قد بدات في مشارف المدينة حيث طوق السوفياتيون ووضعوا خارج المعركة قــوات هامة . وفي ١٣ نيسان حررت العاصمة النمسوية . وفي الوقت الذي دخلت فيه القوات الحليفة الى القسـم الغربي من البلاد ، انجز جنودنا تطهير المناطق الشرقية. ان الاهداف الحربية للجيوش السوفياتية في النمسا قد حددت في بيان حكومة الاتحاد السوفياتي الصادر في ٩ نيسان ١٩٤٥ ، الذي جاء فيه :

« ان الجيش الاحمر المنصرف الى ملاحقة ودحر الفاشيين الالمان ، قد اجتاز حدود النمسا وطوق عاصمتها فيينا .

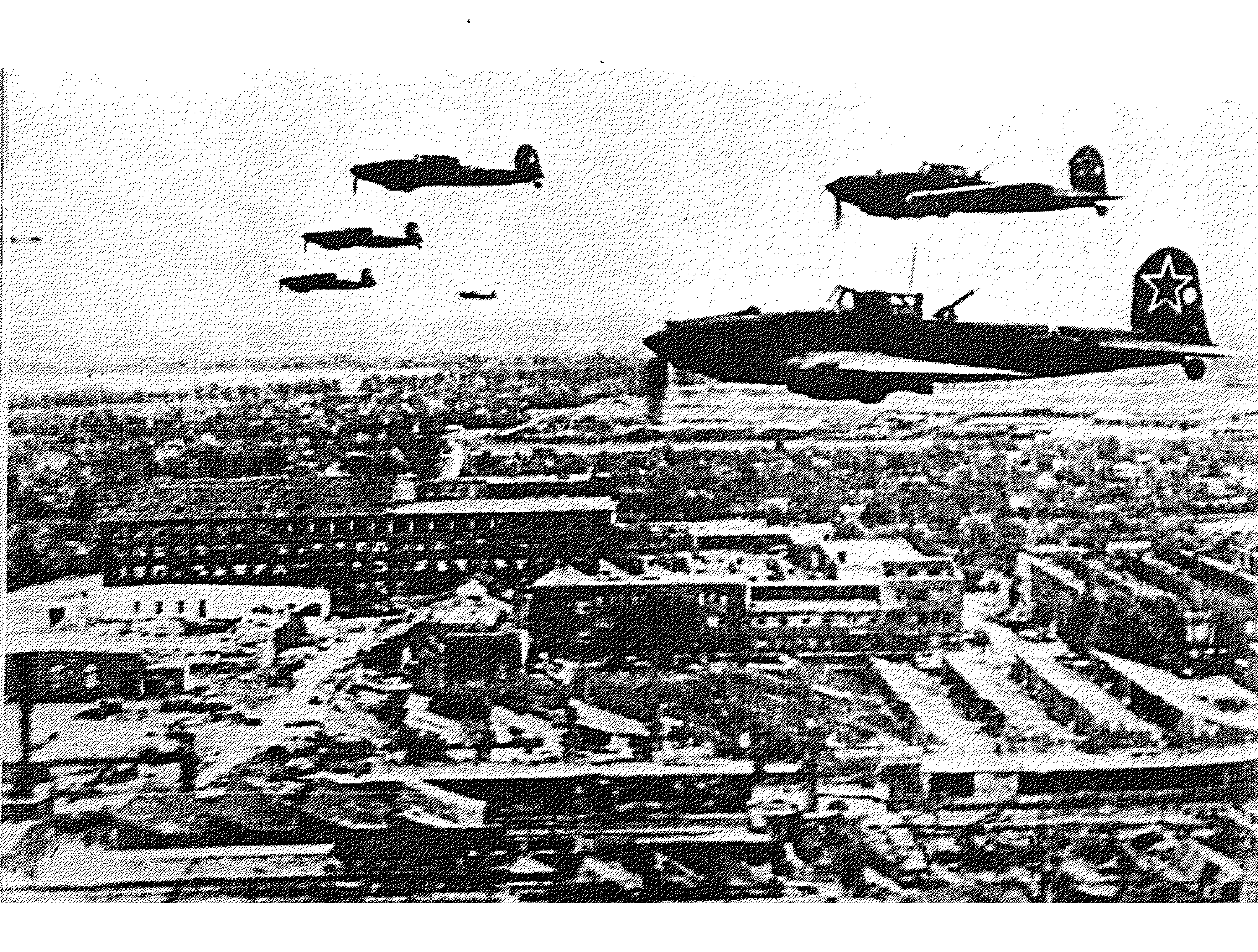
« والحكومة السوفياتية ليس لها اي مطمع في أي جزء من اراضي النمسا وهي لا تسعى الى تغيير نظامها الاجتماعي . وتتمسك الحكومة السوفياتية بوجهة النظر المعروضة في بيان موسكو للحلفاء حول استقلال النمسا ، وستطبق هذا البيان ، وستساهم في تصفية نظام الاحتلال النازي واعادة النظام والمؤسسات الديمقراطية الى النمسا » .

ان نجاحات الجيش السوفياتي في شرق وجنوب شرقي أوروبا ، وكذلك في النروج ، قد نشطت النضال المسلح للشعوب وساعدتها على التخلص من محتليها .

وقد تطلبت اعادة حرية واستقلال الشعوب الاوروبية ، من المحاربين السوفيات ، تضحيات بطولية وكلفتهم أحيانا كثيرة حياتهم .

واحتفظت الشعوب العارفة للجميل بفكرة رفيعة عن القيمة العسكرية لابناء روسيا الامجاد وعن شجاعتهم ، عن أولئك الذين مدوا لها في اللحظة الحرجة يدا أخوية . وقد شيدت تكريما لمحرريها صروحا عديدة مثل التي يمكن مشاهدتها في صوفيا وبوخارست ، وبراغ ، وفيينا ، وبودابست ، وفرصوفيا ، وبلغراد ،

طائرات المهاجمة في طريقها الى هدفها .





برلين ؟ ليست بعيده .

ونارفيك وفي مدن اوروبية عديدة .

ان ألوف السوفياتيين الذين حاربوا في وحدات الانصار وفي الشبكات السرية في فرنسا ، وايطاليا ، وتشيكوسلوفاكيا ، وبولونيا ، وفي بلدان أخرى قد أبدوا شجاعتهم وتضامنهم السخي.

وقد ضمت وحدات الانصار الايطالية ، وكذلك بعض الفصائل الروسية المشكلة في أراضي ايطاليا ، الوف الاسرى السوفياتيين الفارين من المعسكرات . وحقق بطولات مجيدة جدا محاربو فوج الصدام الروسي الذي عمل في اميليا (ايطاليا) في عام ١٩٤٤ : والذي كان بقيادة السيبيري فلاديمير بيريلادوف ، الذي قلد بالتالي مداليتين ذهبيتين . ان فيدور بوليتاييف ، الجندي السوفياتي من ريازان الذي حصل بالتالي على لقب محارب غاريبالدي ، معروف جيدا من قبل الشعب الايطالي الذي ضحى بحياته في سبيل حريته .

واستحق الضابط السوفياتي فاسيلي بوريك ان يدفن في مقبرة بير ـ لا شيز ، تقديرا للبسالة التي أبداها على راس فصيل من قوات القناصة الانصار في با ـ دو ـ كاليه . « لقد ناضلوا معنا في سبيل فرنسا وفي سبيل وطنهم » ، على هـذا النحو وصفت صحيفة باريسية نضال السرية الاولى للانصار السوفياتيين في فرنسا بقيادة الكسندر كاسايان . وفي ربيع ١٩٤٤ فان ٣٥ مجموعة مشكلة من الاسرى السوفياتيين الفارين كانت تحارب المحتل النازي في أراضي فرنسا .

راية النصر تخفق في سماء برلين

كان عام ١٩٤٥ ، العام الرائع للانتصار النهائي على الفـزاة الفاشيست . لكن تحقيق هذا النصر قد كلف مزيدا مـن الجهود والتضحيات أيضا .

ففي بداية العام كان العدو لا يزال يسيطر على قسم كبير من اوروبا الشرقية ويحوز قوى هامة (١) .

لكن قوات الاتحاد السوفياتي وحلفائه كانت متفوقة بصورة بارزة . وكانت الحرب تقترب بمقدار اكبر دائما من المانيا ، من الجحر الذي أنطلق منه الفزاة .

وفي كانون الثاني ١٩٤٥ ، شن الجيش السوفياتي هجوما قويا من البلطيق الى الكربات على جبهة طولها ١٢٠٠ كلم . وقد اشتركت فيها الـ ١٥٠ فرقة الجيدة التجهيز . وبالرغم من مقاومة العدو المرتكز الى تحصينات قوية ، وبالرغم من الظروف الجوية غير الملائمة ، فقد خرقت جيـوشنا خطوط دفـاع العدو في بروسيا الشرقية ، وفي بولونيا ، وفي المجر ، وفي القسم الشرقي من النمسا ، وفـي المانيا . وفي أواسط نيسان احتلت ، على

(١) في بداية ١٩٤٥ ، سحبت القيادة العليا النازية من الجبهة الغربية ثلاثين فرقة كي تلقي بها الى الجبهة الالمانية السوفياتية . وكان في وجه الجيش السوفياتي الـ ١٨٥ فرقة الافضل قدرة عـلى القتال ، ومنها ٣٠ فرقة معززة وعشر فرق آلية ، في حين ان ٥٢ فرقة ، اكثر عياء ، كانت ترابط في الجبهة الغربيـة .

صفاف نهر الاودر ،المواقع التي انطلق منهـــا فيما بعد هجومها الاخير في اتجاه برلين .

من المعـــلوم ان الجيش السوفياتي قد شن هجـومه في كانون الثاني ، قبل ثمانية أيام من الموعد المقرر . وفي الواقع ، ففي ٦ كانون الثاني كان تشرشل قد طلب من الحكومة السوفياتية نجدة القوات الانغلو ــ اميركية التي كانت قد اصبحت في وضع حرج بنتيجة الهجوم المعاكس الالماني في الاردين .

واهتماما منها بمد يد المساعدة الـى حلفائها ، فان القيادة السوفيـــاتية ، بالرغم من الظروف الجـــوية الرديئة ، عجلت استعداداتها من أجل الهجوم الذي شنته في ١٢ كانون الثاني . بدلا من الـ ٢٠ منه ، كما كان مقررا في الخطة (١) .

وكان اجتياز الاودير والاستيلاء على برلين يشكلان مسألة عسكرية بالغة التعقيد . فان العدو كان قد حشد حـوالي مليون نازي كانوا يحاربون بضراوة اليائس . وقد بنيت خطوط دفاعية قوية تمتد على مئة كلم بين نهر الاودير وعاصمة المانيا التي حولت الى قلعة حقيقية . وكان الزعماء النازيون يعتزمون الصمود في هذه المواقع حتى ايـــام افضل . لكن خططهم احبطت من قبل القوات السوفياتية التي وجهت ضربة مبـــاشرة الى قلب المانيا الهتلريـــة .

اشتركت في الهجوم ضد برلين ثلاث جبهات ، الجبهتـــان البيلوروسيتان الاولى والثانية ، والجبهة الاوكرانية الاولى بقيادة الماريشالات روكوسوفسكي ، وجوكوف ، وكونييف ، وكان تحت تصرفها ٤١ الف و ٦٠٠ قطعة مدفعية ومدفـع هاون و ٦ آلاف

---

(١) بعد انتهاء الحرب فان البحث في الملفات المأخوذة من العدو بالاضافة الى القادات المعتقلين السابقين في معسكرات الاعتقال قد أتاحت الادراك بـــأن الهجوم السريع للقوات السوفياتية خلال شتاء وربيع ١٩٤٥ قـد أتاح استباق تحقيق مشاريع الهتلريين في انشاء « السلاح الاعجوبة » الذي لم يكن سـوى القنبلة الذرية . وكانت اشغال اعداد سلاح التدمير الشامل هذا التي جرت في الاقبية المشؤومة في رينيميند ، قد اشرفت على الانتهاء . ويعثر على تفاصيل هذه القضية في كتاب الصحفي الالماني جوليوس مادير « سر هانتغيل » الـذي اصدرته في عام ١٩٦٣ المنشورات العسكرية في الجمهورية الديمقراطية الالمانية.



لقـاء على الالبه

و ۳۰۰ دبابة ومدفع بقطر ذاتي ، وحوالي ۸ آلاف طائرة .

وانجزت بمهارة عظيمة هذه العملية ، عملية تطويق وتدمير قوات عدوة هامة .

في ١٦ نيسان ١٩٤٥ فتحت عشرات الوف المدافع ومدافع الهاون نارا جهنمية على تحصينات العدو على الضفة اليسرى للاودير . وكانت الوف البروق تخرق ضباب الصباح . وكان كل شيء يهتز ، وكان هدير المدافع يسمع على بعد عشرات الكيلومترات ، وارتفع وهج الحريق فوق المواقع الالمانية .

في الساعة الرابعة وعشر دقائق صباحا ، ارسلت قيادة الفرقة النازية المرابطة في غرب كوسترين ، الى هيئة اركان دفاع برلين برقية جاء فيها :

« اننا نتعرض لنار جهنمية . وقد فقدنا الارتباط مع السرايا . وفي أماكن عديدة ضوء قوي غامض المنشأ ، ملايين الشموع ، ولم نستطع تحديد مصدره . ربما كان ذلك نوعا جديدا من السلاح . وربما كان من الكيمياء (كذا) ! » .

ان هذا الضوء الغريب كان صادرا عن مبمي مصباح كشاف بقوة شديدة جدا أحضرتها القوات السوفياتية من أجل الهجوم ، لكي تضيء ميدان المعركة .

وفي ذلك اليوم قام الطيران السوفياتي بأكثر من ١٧ الف تحليق . وبلغ الوزن الاجمالي للمتفجرات التي اطلقتها المدفعية خلال معركة برلين ٢٦ الف طن . وقد سحقت الجبهة الالمانية على الاودير سحقا تاما .

أن القوات السوفياتية التي ظلت تلاقي دائما مقاومة شديدة من العدو لم تصل الى ضواحي برلين قبل ٢١ نيسان . وفي ٢٥ نيسان اطبق الطوق حول المدينة في حين تلاقت ، في مكان أبعد الى الجنوب ، طلائع القوات السوفياتية والاميركية على نهر الالبه في مكان غير بعيد عن تورغو .

دافع النازيون دفاعا عنيدا عن مبنى الرايخستاغ . وقد هاجمته الافواج السوفياتية بقيادة المقدم دافيدوف ، والرئيس



لقاء في تشيكوسلوفاكيا .

نيوستروييف ، والملازم الاول صامصونوف . وفي ٣٠ نيسان اصبح المبنى في قبضتنا . وفي الساعة ١٤ و ٢٥ دقيقة ، خفق علم النصر على مبنى الرايخستاغ . ان القيادة النازية التي رات ان القسم الاكبر من قواتها قد تمزق اربا ونظرا لادراكها عدم جدوى مواصلة المقاومة ، أبلغت بواسطة اللاسلكي في ٢ أيار في الساعة الواحدة و ٥٠ دقيقة ، ان حامية برلين مستعدة للاستسلام . وقد استسلم اكثر من ٣٠٠ الف جندي وضابط . وانتهى الهجوم على برلين بانتصار ساطع للقوات السوفياتية . وكان ذلك نهاية المانيا النازية .

في شوارع العاصمة الالمانية كان المحاربون يشعرون بأنهم حققوا واجبهم . فأبطال معارك موسكو ، وستالينغراد ، وكورسك ، والدنيبر ، وممثلو جميع شعوب الاتحاد السوفياتي قد تلاقوا هناك في تلك اللحظة الفريدة .

وبعد أيام من ذلك اعترفت المانيا الهتلرية بالهزيمة . وفي ٨ ايار وقع ممثلو القيادة العليا الالمانية في برلين وثيقة استسلام جميع القوات المسلحة الالمانية دون قيد ولا شرط .

ألقى العدو السلاح ، لكن مجموعة قوية في تشيكوسلوفاكيا كانت تطمح الى البقاء خارج الاستسلام ، ونسف براغ ، وابادة سكانها ، وبالتالي اللجوء الى الغرب . وكانت براغ معرضة لتهديد خطير . وكانت اذاعة المدينة تردد دون انقطاع : « براغ وتشيكوسلوفاكيا تطلبان النجدة ... ساعدونا ، ان قواتنا تنفد ولم نعد عندنا ذخائر ... » .

ان التشيكيين الثائرين كانوا قد سيطروا على محطة الاذاعة وكانوا يخاطبون قواتنا على هذا النحو . وكان الوضع حرجا ، ولكن لم يلبث أن انتشر في التحصينات النبأ التالي : « لقد سمعنا الروس . الجيش السوفياتي قادم ! » .

اجتازت العناصر المتحركة للجبهة الاوكرانية الاولى (الجيشان المدرعان للجنرالين ريبالكو وليليوشنكو) بسرعة خارقة مسافة الـ ٣٥٠ كلم التي كانت تفصلها عن براغ ، عن طريق درسدن والارزجيبيرج . وفي ٩ ايار اقتحمت الدبابات السوفياتية مدخل العاصمة التشيكوسلوفاكية فأنقذتها بذلك من الدمار . وتخليدا لذكرى هذا الحدث وكاعتراف أبدي بجميل محرريهم ،

وضع سكان براغ ، على قاعدة ، الدبابة السوفياتية الاولى التي دخلت مدينتهم .

انتهت الحرب في اوروبا ، واحتفل الشعب السوفياتي في ٩ أيار ١٩٤٥ ، بالانتصار على المانيا النازية ، بذلك النصر الذي طالما ترقبه كل ذلك الزمن الطويل ملايين الناس في العالم بأسره .

***

اظهر الجنود السوفيات نفس الشجاعة ونفس البسالة في المعارك من اجل تحرير شعوب آسيا المضطهدة من قبل العسكريين اليابانيين .

ان الجيش السوفياتي ، الامين لالتزاماته تجاه حلفائه ، بدأ في ٩ آب ١٩٤٥ الاعمال الحربية ضد اليابان ، ولم تكن القوات السوفياتية بحاجة لاكثر من بضعة أيام كي تبيد في ميادين المعركة في شمال الصين ، وفي كوريا ، وفي جنوب ساخالين ، مليون جندي من جنود جيش شمال شرقي الصين . وهذا الانتصار قد قرب الاستسلام الياباني ونهاية الحرب العالمية الثانية .

ان هزيمة الغزاة اليابانيين ، كان يعود الفضل فيها بنصيب كبير الى بطولة الشعب الصيني وجيشه ، جيش التحرير الوطني، وجنود الجيش الشعبي لمنغوليا ، والوطنيين الكوريين ، والفياتناميين ، والاندونيسيين ، ووطنيي بلدان آسيوية اخرى .

ان مساعدة الجيش السوفياتي المنزهة الى الشعوب الاسيوية الواقعة تحت الاحتلال في طرد المستعمرين اليابانيين قد أكسبته الشكر الصادق من قبل ملايين الناس . ويحتفظ في موسكو ، في المتحف المركزي للجيش السوفياتي ، بلفافة من الحرير طولها ٧١٧ مترا وتحمل أقوال عرفان الجميل من قبل سكان شمال شرقي الصين تجاه المحاربين السوفيات .

ويستحيل ان يقرأ المرء دون تأثر الرسالة التي وجهها الشعب الكوري الى قيادة الجيش السوفياتي والتي ذيلت ب ١٦ مليونا و ٧٦٧ الف و ٦٨٠ توقيعا وجاء فيها : « ليست هذه هي



المرة الاولى في تاريخ كوريا ، التي تشهد فيها البلاد على ارضها جيوشا اجنبية . فان سيوف هذه الجيوش كانت تبيد وطنيينا وسكاننا الآمنين . وكانت تحرق مدننا وقرانا وتحولها الى حقول من الانقاض والى اكوام من الرماد .

« والقوات السوفياتية هي الوحيدة التي لم تأت الينا كقوات فتح ، بل كقوات تحرير. ان بلادنا تستطيع التنفس بحرية بعد ان انقذت من الاستعباد . لقد انسنا قبس السماء المشع ، وازدهرت ارضنا ، واخذنا ننشد اناشيد الحرية ، والفرح والسعادة .

لن ينسى شعب كوريا أبدا المآثر البطولية للمحاربين السوفيات ، هذه المآثر التي ستنتقل الى جيل بعد جيل ، موقظة دوما لدى شعبنا شعورا حارا بالحب والاعتراف بالجميل تجاه الجيش السوفياتي » .

الحقيقة عن الجندي السوفياتي

لقد انهينا حديثنا السريع عن الطريق الشاق بصورة خارقة الذي اضطر الجندي السوفياتي لاجتيازه من اسوار موسكو وضفاف الفولغا الى برلين ونهر الالبه ، ومن بايكال والأمور حتى بورأرثر والى جنوب ساخالين . ويستحيل تقريبا تصور مدى الاحداث . فانه محيط حقيقي من الوقائع ، والامثلة ، والوثائق . ولم نقتطف منه حتى جزءا من ألف . ولكن فكما ان نقطة بسيطة تعكس ضوء الشمس الضخمة ، فان كل واقع منعزل من البطولة يعبر عن السمات المميزة للجيش السوفياتي بمجمله .

فللجندي السوفياتي ملايين الاصدقاء في بلدان العالم الاكثر بعدا : من هافانا الى جاكارتا ، ومن المحيط المتجمد الشمالي الى الرمال المحرقة في افريقيا . وهؤلاء الاصدقاء يعرفونه من النصيب الذي ساهم به في تحرير الشعوب .

ولكن الى جانب هؤلاء الاصدقاء العديدين فان للجندي السوفياتي عددا غير قليل من الاعداء المنكشفين والمستترين .

ومن المعلوم كم من الاقوال المكدرة قد ادلي بها عشية الحرب العالمية الثانية تجاه الاتحاد السوفياتي ، وشعبه ، وجيشه . وكانت شخصيات سياسية وعسكرية عديدة ، والصحافة الغربية



وهل احلى من العودة !

الرجعية ، تكرر بأن الجيش السوفياتي هو « عملاق برجلين من خزف » وان معداته ، وملاكاته ، وفنه العسكري ، ومعنويات جنوده ، متدنية جدا .

وقد تنبأ الكثيرون من الاختصاصيين بهزيمة القوات السوفياتية في حرب كبرى . (كتبت صحيفة **نيويورك بوست** الاميركية مثلا في خريف ١٩٤١ ما يلي : « من اجل انقاذ الحمر من كارثة محتمة ينبغي حدوث معجزة شبيهة بمعجزات التوراة ») .

والان حيث أصبحت الوقائع امامنا ، فان المتشككين يحاولون

ان يعطوها تفسيرا مغرضا . فان مؤرخين بورجوازيين عديدين يفسرون الهزيمة المدوية لجيوش هتلر على الجبهة الالمانية السوفياتية بـ « الاخطاء المشؤومة » للفوهرر ، الذي لم يكن يأخذ ، على حد زعمهم ، بعين الاعتبار رأي جنرالاته ، كما يفسرونها بشدة الشتاء الروسي ، وبالوضع السيىء لطرق المواصلات في روسيا الخ (١) .

ومن غير الخوض في جدل عقيم ، سنكتفي بأن نشير الى انه ، خلال الحرب ، كانت الشخصيات السياسية والعسكرية البارزة والصحافة الغربية ، وكذلك الزعماء الهتلريون انفسهم ، يتحدثون عن الدولة السوفياتية ، وعن الجندي الروسي ، وعن تسلح وتكنيك الجيش الاحمر .

حول النظام السياسي والقوات المسلحة للاتحاد السوفياتي

« حين كان بعض الاختصاصيين يحللون الطاقات العسكرية لروسيا السوفياتية ، كانوا يعتبرون بأن اضعف نقطة فيها هي الوضع الداخلي . وكانوا يزعمون بأن سكان روسيا السوفياتية يضمرون العداء العميق للنظام البلشفي . وقد بعث ذلك لدى البعض الامل بأن الحرب ستثير في البلاد انتفاضة ستعجل في انهيار هذا النظام . لكن هذه الافتراضات لم تتحقق . ففي روسيا السوفياتية نشأت شبيبة رباها النظام الجديد ، تفضل الموت على التراجع ولو خطوة واحدة » .

(صحيفة «خبر» التركية ، آب ١٩٤٢)

---

(١) يعثر على مزاعم من هذا النوع مثلا في الكتب التي صدرت بعد الحرب ، كمؤلفات الجنرال الهتلري السابق فون تيبلسكرش « حصيلة الحرب العالمية الثانية » ، والجنرال الاميركي برادلي « تاريخ جندي » ، والكاتب العسكري الانكليزي فولر « الحرب العالمية الثانية » ، ومجموعة « الحرب العالمية لاعوام ١٩٣٩ ــ ١٩٤٥ » التي وضعها الجنرالات النازيون المهزومون ، وفي منشورات اخرى ايضا .

« كان من الواضح جيدا ان ميدان المعركـــة كان بالنسبة للروس رقعة شطرنج . فان ضرباتهم كانت محسوبة سلفا ، الامر الذي أجبر الالمان ، من اجل صدها ، على اعمـــال نقل متواصلة للقوات من هذا الطرف في رقعة الشطرنج الشاسعة الى الطرف الاخر ، من البلطيق الـــى دلتا الدانوب . ولم يبلـغ الالمان قط مستوى الروس في فن فهم هذه اللعبة » .

(الصحفي الاميركي رالف انجرسول
فـــي كتابـــه « سري جدا »)

« ان قوة الجيش الاحمر تكمن في اعداده ، وفي انضباطه ، وفي معنويات جنوده ، وفي التنظيم المدهش للاقتصـــاد الوطني والسكان ، هذا التنظيم الذي يهدف الى مساعدة الجيوش » .

(الصحفي الاميركي والتر كير في كتابه
« الجيش الروســـي » صفحـة ١٩٧)

« في محاكمة نورمبرغ ، قال محامي غورنغ موجها كلامـــه الى الفيلد مارشال فون باولوس ، الذي مثل أمام المحكمة كشاهد :
« اود ان اسأل الشاهد باولوس ما اذا كان صحيحا انه في الفترة التي كانت فيها بلاده في حالة حرب مع روسيا السوفياتية قد قبل التكليف باعطاء دروس استراتيجية في المدرسة العسكرية العليا للعدو ؟ »
« وقد أجابه فون باولوس : كانت الستراتيجية السوفياتية اعلى من استراتيجيتنا الى حد ان الروس لم يكـــونوا دون شك بحاجة للتفكير بي لو افتقروا الى المدرسين مـــن اجل مدارس ضباطهم . وافضل برهان أستطيع أن أقدمـــه هو نتيجة معركة الفولغا التي اسرت بعدها ، وكذلك واقع انكم تشاهدون هـــؤلاء السادة في قفص الاتهام » .

(ملفات محاكمة نورمبرغ)

حول الاسلحة السوفياتية

بالرغم من ان الاتحاد السوفياتي كان يحوز قدرة اقتصادية ادنى من قدرة المانيا ، فقد انتج خلال الحرب كميات مـــن المعدات اكثر منهـــا .

معطيات حول انتاج النماذج الرئيسية من الاسلحة خلال الحرب (بالالوف الوحدات)

	طائرات	دبابات ومدافع بقطر ذاتي	مدافع ومدافع هاون	رشاشات
الاتحاد السوفياتي	١٠٨	١٠٠	٤٤٦	مليون تقريبا
المانيـــا	٧٩	٥٣،٦	١١٣	٦١٧

ان الجنرالات الهتلريين هم المؤهلون اكثر من غيرهم لاعطاء حكم على نوعية هذا العتـــاد الذي تسنت لهم فرصـــة اختبار نتائجه . ويعترف الفيلد مارشال فون كلايست بما يلي :

« كانت الاسلحة الروسية جيدة ، حتـــى في عام ١٩٤١ ، وخاصة الدبابات . وكانت مدفعيتهم رائعة ، وكذلك أكثرية نماذج الاسلحة الفردية ، وكانت بندقيتهم اكثر اتقانا واسرع من بندقيتنا. وكانت دبابتهم من طراز ت ــ ٣٤ أفضل دبابة في العالم » .

حول مساعدة الحلفاء

تبالغ بعض المنشورات الاجنبية بصورة واضحـــة باتساع المساعـدة الاقتصادية والعسكرية التي قـــدمها الحلفاء للاتحاد السوفياتي . وفي الواقع فان مجموع شحنات الاسلحـــة والمؤن الى الاتحاد السوفياتي يبلغ حوالي ٤ ٪ من مجموع انتاج الشعب السوفياتي خلال أعوام الحرب .

الرئيس روزفلت :

« اننا نعلم بأن الشحنات الاميركية قد خدمت في محاربة عدونا المشترك . الا اننا لم نعتبر قط **الاعارة والتاجير** كعامـــل حاسم قادر على تحقيق هزيمة المانيا . فان هذه الهزيمة هي من صنع جنود الجيش الاحمر الذين ضحـــوا بدمهم وبحياتهم في سبيل الانتصار على عدونا المشترك » .

(ملفات السياسة الخارجية للاتحاد السوفياتي)

ارنست بيفن ، وزير العمل البريطاني :

« ان المساعدة التي استطعنـــا تقديمها هي شيء ضئيل بالمقارنة مع الجهد الجبـــار للشعب السوفياتي . وحين سيقرأ

احفادنا مؤلفات التاريخ سيلتفتون الى الماضي بشعور عميق من الاعجاب والامتنان لبطولة الشعب الروسي .

(التايمز ، ٢٢ حزيران ١٩٤٢)

ادوار ستيتينيوس وزير خارجية اميركا :

« كل هذه المساعدة سبق أن دفع ثمنها الروس . وان الثمن الذي دفعوه لا يقدر لا بالدولارات ولا بالاطنان : انه الوف الجنود النازيين الذين قتلهم او اسرهم الروس ... لقد دفعوا غاليا ثمن الانتصارات التي احرزوها دفاعا عن بلادهم ضد المانيا ، الا انهم قد ألحقوا ضررا فادحا بماكنة الحرب النازية . ونتيجة لذلك فان الحرب ستكون أقصر مدة بكثير » .

(« الاعارة والتاجير ، سلاح النصر » ،
نيويورك ، ١٩٤٤ ، ص ٢٢٨ — ٢٢٩)

هذه الشهادات لا تحتاج الى تعليق . الا انه يبقى علينا أن نستشهد ببعض رجالات الدولة والعسكريين الغربيين الذين قيموا بالعبارات التالية دور الاتحاد السوفياتي وجيوشه في هزيمة القوات الالمانية :

الرئيس فرانكلن روزفلت

« باسم شعب الولايات المتحدة أود ان اعرب للجيش الاحمر ، بمناسبة الذكرى السنوية الـ ٢٥ لتأسيسه ، عن الاعجاب الذي توحيه لنا انتصاراته الرائعة والخارقة ... ان مثل هذه النجاحات لا يمكن ان تكون في متناول سوى جيش يقاد بمهارة ، متين التنظيم ، جيد الاعداد ، وعلى الاخص مصمم على قهر عدوه مهما كانت التضحيات ... لقد أرغم الجيش الاحمر والشعب الروسي القوات المسلحة الهتلرية نهائيا على سلوك طريق هزيمة محتمة ، وضمنا لزمن طويل اعجاب الشعب الاميركي » (شباط ١٩٤٣) .

(الرسائل المتبادلة بين رئيس وزراء الاتحاد السوفياتي والرئيس الاميركي ورئيس وزراء بريطانيا ، خلال الحرب العالمية الثانية ، ١٩٤١ — ١٩٤٥ ، المجلد الثاني ، ص ٥٧ ، الطبعة الروسية) .

ونستون تشرشل :

« ان الجيش الروسي هو الذي فرق أحشاد الجيش الالماني » .

(خطاب في مجلس العموم ، ٢ ـ ٨ ـ ١٩٤٤)

شارل ديغول :

« يعرف الفرنسيون ماذا فعلت روسيا السوفياتية من أجلهم ويعلمون ان روسيا السوفياتية بالتحديد هي التي لعبت الدور الرئيسي في تحريرهم . فان الجهد الروسي بانزاله بالآلة العسكرية الالمانية جراحا لا شفاء لها ، كان الشرط الاساسي لتحرير أراضي بلادنا » .

(خطاب في المجلس التاسيسي ، ٢١ كانون الاول ١٩٤٤)

ادوار ستيتينيوس

« يجب أن يذكر الشعب الاميركي انه كان في عام ١٩٤٢ على قيد أنملة من الهلاك . فلو ان الاتحاد السوفياتي لم يصمد في جبهته لاستطاع الالمان الاستيلاء على بريطانيا ولاستطاعوا أيضا الانتقال الى افريقيا ، ولتمكنوا انطلاقا منها من انشاء راس جسر في اميركا اللاتينية » .

(أ. ستيتينيوس « روزفلت والروس » ، ١٩٤٩ ، ص ٧)

« قال الجنرال تشونولت ، قائد القوات الجوية الاميركية في الصين ، بأن دخول الاتحاد السوفياتي الحرب ضد اليابان كان حاسما ، وإن سير الحرب في المحيط الهادىء قد تعجل نتيجة لذلك ، الامر الذي كان سيحدث حتى ولو لم تلق القنبلتان الذريتان . وبضربة صاعقة ، أغلق الجيش الاحمر الطوق ، واجبرت اليابان على الركوع على ركبتيها » .

(صحيفة نيويورك تايمز ، ٥ آب ١٩٤٥)

دروس التاريخ

ان تحليل حصيلة الحرب العالمية الثانية غني بالدروس . فالشيء الرئيسي هو ان الشعوب والجيوش التي تناضل في

سبيل القضية العادلة ، قضيـــة حريتها واستقلالها ، لديها كل المبررات لتوقع النصر ، مهما كان الطريق الذي يقودها الى انتصار العدالة ، صعبا وطويلا . ونشاهد ايضا بأن قوة الشعوب المتحررة تكمن في تلاحم ووحدة اعمالها وفي موقفها الرفيع اليقظة تجـاه مناورات الرجعية . ان المعتـدين لا يتأثرون بالخطب وبالدعوات الى التعقل . ولا يمكـــن كبح جماحهم الا بفضل اعمال مشتركة تقوم بها الشعوب على أساس الموارد الماديـة والعسكرية للبلدان المتحــررة .

وقد اثبت تشكيل ائتلاف قوي معاد للنازية ، خلال الحرب ، من شعـوب ودول ذات انظمـــة اجتماعية مختلفـة ، وتعاونها السياسي ، والاقتصادي ، والعسكري ، ان التفاهم المتبادل بين البلدان الاشتراكية والراسمالية ليس ممكنـا فحسب ، بل هو ضروري ايضا . الا تستطيع حقا التوصل الى هذا التفاهم والـى هذا التعايش السلمي في زمن السلم ، فـي ايامنا ؟ انها تستطيع وينبغي عليها أن تفعل ذلك .

وبالتالي فان انتصـــار الشعب السوفياتي على الغـزاة النازيين قد اثبت بوضـــوح ان التعطش الى الفتح واللجوء الى « سياسة القوة » تجـاه الــدولة السوفياتية القوية وجيشها الشعبي ينطويان على نتائج مفجعة جدا بالنسبة للمعتدي . وهذا ما ينبغي أن لا ينسـاه الانتقاميون ومثيرو حرب جـديدة . وكما يقول مثل شرقي : « حين الشروع في عمـــل ما ، فان الحكمـة تقضي بتقدير نتيجته » .

ان الانتصارات الرائعة للشعب السوفياتي والشعوب الحرة الاخرى خلال الحرب العالمية الثانية ، والهزيمة الساحقة للقـوى الصدامية للرجعية العالمية سواء في الشرق أم في الغرب ، قـد اوجدت ظروفا ملائمـــة جدا لاستئناف نضـال التحرر الوطني لشعوب آسيا ، وافريقيا ، واميركا اللاتينية . وهذا النضال قد تكلل بمثل تلك النجاحات الى حد ان خارطة العـــالم قد تغيرت تغيرا عميقا نتيجة لذلك . فاذا كان ٧٠ ٪ من الناس كانوا خاضعين للنير الاستعماري في عام ١٩١٩ ، فان ١ ٪ منهم فقط لا يزال الان يعاني هذا الشكل من العبودية . فشعوب اندونيسيا ، والهند ، وبورما ، ومصر ، وغانا ، وغينيا ، والجزائر ، وشعوب بـــلدان

عديدة اخرى ، التي تغلبت على مقاومة المضطهدين (بكسر الهاء) الاجانب والرجعية الداخلية ، قد توصلت الى الاستقلال . ويشكل انتصار شعب كوبا الثوري مثالا محفزا لكل اميركا اللاتينية .

وتتمتع الشعوب المناضلة في سبيـــل استقلالها بالتأييد الفعال للشعب السوفيــاتي وكل الاسرة الاشتراكية . وبعطف قوى التقدم في العالم بأسره .

لكن القوى الرجعية والعسكرية لم تتخل عن مشاريعها بعد . فنظـــام الحكم الاستعماري لم يمت بعد . وليس سلم وسلامة الشعوب في مأمن من كل خطر . ولهـــذا السبب فان الواجب المقدس للشعوب ، ولجميع الناس أصحاب النوايا الطيبـة ، هو ابداء اليقظة في كل لحظة ، وان يكـــونوا على استعـداد لفضح دسائس المستعمرين ، أعداء السلم والتقدم الاجتماعي .

حارس السلم

هل يريد الروس الحرب ؟

ان كل من يزور الاتحاد السوفياتي لا بد وان يدهش للوتائر الخارقة التي يستمر بها عمل البناء الذي يقوم به السوفياتيون .

والشعب السوفياتي لا تنقصه مواضيع الاعتزار : سدود عظيمة ، ومدن جديدة ، واستثمار لمكامن جبارة للنفط ، وللماس، والفلز ، وارتياد الفضاء الكوني ، وعلى الاخص اذا اخذنا بعين الاعتبار الخسائر الناتجة عن الغزو النازي .

ان مشاريع الاتحاد السوفياتي للفترة القادمة هي اكثر اثارة للذهول ايضا . لكن تحقيقها يتطلب صيانة السلم . ولهذا السبب فان التطلع الى السلم والى علاقات صداقة مع جميع الشعوب ، هو بمثل تلك القوة لدى جميع مواطني بلادنا .

والحكومة السوفياتية هي المنفذ الامين لارادة شعبها حين تستخدم كل طاقتها في تطبيق سياسة سلمية ، وحين تسعى جاهدة لان تحل عن طريق المفاوضات القضايا الدولية المختلف عليها ، وحين تناضل في سبيل نزع سلاح عام شامل ، وفي سبيل تعايش سلمي بين الدول بغض النظر عن نظامها الاجتماعي.

ومنذ نهاية الحرب ضد الفاشية ، عمد الاتحاد السوفياتي الى تسريح جيشه والى حل وحدات عديدة ، واعاد الى الحياة المدنية ملايين الضباط والجنود . وخلال فترة ١٩٥٥ ــ ١٩٥٨ ، خفضت القوات السوفياتية مليونين ومائة واربعين الف رجل ، وخفضت معداتها بشكل يتناسب مع تخفيض الرجال .

ان ارقام الموازنة السوفياتية هي بليغة ايضا . فقد هبط نصيب النفقات العسكرية من ٢٣،٩ ٪ في ميزانية ١٩٤٦ الى ١٤،٥ ٪ في ميزانية ١٩٦٤ . وقد سجل الراي العام العالمي ، بمثابة بادرة نية حسنة ، انزال هذا الرقم الى ١٢،٩ ٪ (١٢،٨ مليار روبل) من موازنة ١٩٦٥ .

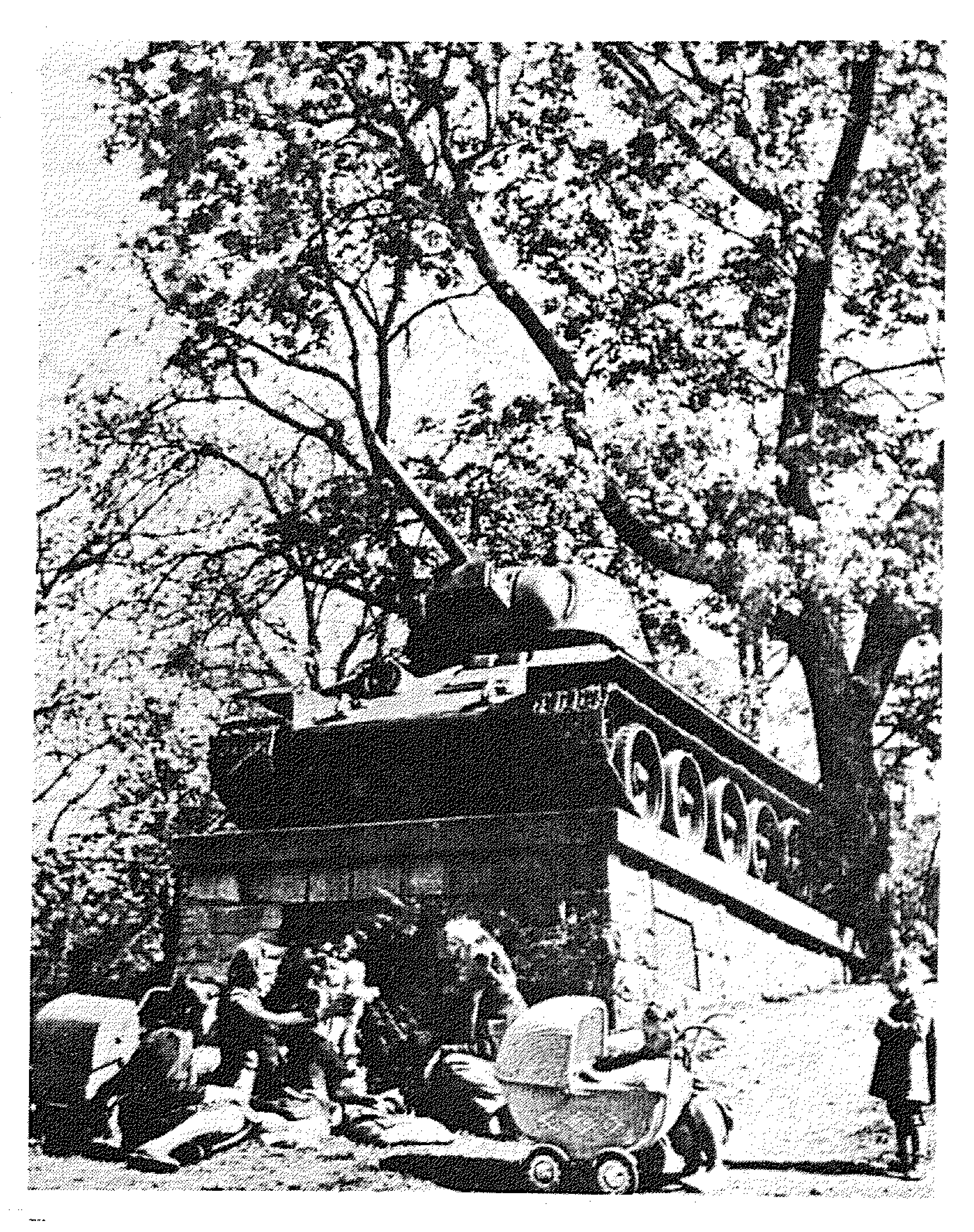
وسحبت الحكومة السوفياتية جزئيا من الجمهورية الديمقراطية الالمانية ، والمجر ، وبولونيا ؛ وكليا من رومانيا ، القوات التي كانت قد ابقتها هناك بالاتفاق مع حكومات هذه البلدان ؛ واقترحت على الولايات المتحدة ، وعلى بريطانيا ، وعلى فرنسا ، اخلاء الاراضي الالمانية اخلاء تاما من قبل قوات الدول الاربع . واقترحت ايضا حل المنظمتين العسكريتين لمعاهدة فرصوفيا وحلف الاطلسي . وليس الذنب ذنب الاتحاد السوفياتي اذا كانت هذه الاقتراحات قد رفضت .

واخيرا من اجل القضاء على الخطر الرهيب الذي يشكله السلاح النووي بالنسبة للانسانية ، فان الحكومة السوفياتية تناضل بحزم من اجل ازالة هذا السلاح من ترسانات جميع البلدان . وقد لقي توقيع الاتحاد السوفياتي وبلدان عديدة اخرى لمعاهدة موسكو حول حظر التجارب النووية في المجالات الثلاثة (على سطح الارض ، وفي الجو ، وفي الماء) التأييد الواسع من قبل الراي العام العالمي ، الذي يعتبره ، بحق ، نجاحا هاما للقوى السلمية . والاتحاد السوفياتي على استعداد للسير شوطا ابعد في هذا الطريق وهو يسعى جاهدا للتوصل الى الحظر الكامل للسلاح الذري وابادته .

ان حروب العدوان هي غريبة عن الطبيعة ذاتها للنظام الاشتراكي . فهي لا تتفق مع ايديولوجية السوفياتيين ومبادئهم الاخلاقية ، الذين يستلهمون النزعة الانسانية واحترام حرية واستقلال الشعوب الاخرى ، وآرائها السياسية ومعتقداتها .

ما حاجة الاتحاد السوفياتي بالانفاق على جيش حديث ؟

لماذا اذن يعمل الشعب السوفياتي وحكومته ، اللذان يهتمان الى هذا الحد بالسلم ، على توطيد القدرة الدفاعية لبلادهما ،



لو اننـا لا نعود نرى الدبابات الا على الصروح ...

والطاقة الكفاحية لقواتهما المسلحة . في الوقت ذاته ؟ ألا ينطوي ذلك على تناقض ؟ اليكم ما يقـوله بهذا الصدد برنامج الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي ، الذي لقي التأييد الواسع من قبل جميع شعوب بلادنا : « من وجهـة نظر الظروف الداخلية فالاتحاد السوفياتي ليس بحاجة الى جيش . ولكن طالما ظل خطر الحرب قائما ، انطـلاقا من المعسكر الامبريالي ، وطالما لم يتم

التوصل الى تحقيق نزع السلاح التام الشامل ، فان الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي يرى من الضروري الابقاء على القدرة الدفاعية للاتحاد السوفياتي ، والطاقة الكفاحية لقواته المسلحة ، على مستوى سيضمن الهزيمة الحاسمة والتامة لأي معتد سيتجرأ على مهاجمة وطننا السوفياتي » .

ان الحرب يمكن ازالتها من حياة المجتمع منذ الجيل الراهن . وتعلم الشعوب انه يتوجب من اجل ذلك النضال وصيانة السلم بكل قواها . وطالما بقي هذا العامل العدواني الذي هو الامبريالية ، فان حروب الفتح يمكن ان تنفجر مرة اخرى .

من يستطيع القول ان هذه المخاوف لا مبرر لها ؟

ينبغي في الحقيقة أن يؤخذ بعين الاعتبار واقع انه منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، لم يكن هناك عام واحد ساده سلم تام ، دون أن يخوض المستعمرون والامبرياليون حربا في هذه المنطقة أو تلك من العالم .

الفييتنام ، والصين ، وكوريا ، والجمهورية العربية المتحدة ، ولبنان ، واليمن ، والجزائر ، واندونيسيا ، وكوبا ، والكونغو ، وانغولا ، والجنوب العربي ... ويمكن الاستشهاد ايضا بأسماء بلدان عديدة اخرى اضطرت لمجابهة العدوان الامبريالي منذ نهاية الحرب . وبعض هذه البلدان لا يزال حتى الان مضطرا للنضال المسلح في سبيل حريته واستقلاله .

ان شرارة قد تبدو ضئيلة لاول نظرة يمكن ان تكون دائما منشأ حريق خطير . هذا هو درس الحرب العالمية الاولى التي سبقتها نزاعات محدودة في البلقان ، وكذلك درس الحرب العالمية الثانية التي انبأت بها حروب محلية عديدة في اوروبا وفي آسيا.

يحق لنا التساؤل لماذا تواصل الدول الامبريالية الكبرى ـ الولايات المتحدة ، وانكلترا ، وفرنسا وغيرها ـ سباق التسلح، وتنفق على جيوش كثيرة العدد مزودة بمعدات وفيرة . ولماذا تغطي هذه البلدان العالم بشبكة من قواعدها العسكرية ، ولاية أغراض توجه الكتل ـ حلف الاطلسي والسنتو وغيرهما ـ التي انشأتها ؟

ومن يستفيد من نهوض القوات المسلحة المتعطشة للانتقام في المانيا الغربية ؟

هل يستطيع الشعب السوفياتي أن يظل لا مباليا أمام تطورات تنطوي على مثل هذا الخطر الشديد ؟

من السهل أن نفهم أن يكون على القوات المسلحة السوفياتية أن تسهر على صيانة السلم والامن في بلادها وعلى تأمين الدفاع عن المعسكر الاشتراكي ، الى جانب جيوش البلدان الشقيقة . ويجب ان تكون مستعدة للرد فورا على كل معتد قد يهاجم البلدان الاشتراكية المسالمة .

وقد أتاح تقدم الصناعة الثقيلة ، والانشاءات الميكانيكية والالكترونيك ، والبحث العلمي في الاتحاد السوفياتي ، في السنوات الاخيرة ، القيام باعادة تنظيم جذرية لمختلف الجيوش والاسلحة وتزويدها بالمعدات الاكثر فعالية .

والشعب السوفياتي ، الذي علمته التجربة ، لا يعتزم السماح لأي كان باستغلال ضعفه كي يملي عليه ارادته . وقد دفع غاليا جدا ثمن حريته واستقلاله وحقه في الحياة وفي بناء مجتمع جديد . فلا يعقل اذن ارتكاب مثل هذا الخطأ .

ولهذا السبب فمن السهل أن نفهم يقظة السوفياتيين أمام مناورات العسكريين ، والعناية التي يبدونها بتعزيز الطاقة الدفاعية للاتحاد السوفياتي . ويعتبر مواطنونا الفصول العسكرية في الميزانية بمثابة نفقات اضطرارية ، ولكنها ضرورية في الوقت الراهن .

ضمان سلامة الشعوب

ان القوات السوفياتية ، بصواريخها وأسلحتها النووية ، هي درع فعال بالنسبة للبلدان الاشتراكية ووسيلة لاعادة هواة سياسة « مواقع القوة » ومثيري الحرب ، الى رشدهم .

وفي الخطاب المذاع في التلفزيون ، الذي ألقاه فيدل كاسترو في ٤ حزيران ١٩٦٣ ، أعطى ، على أساس ملاحظاته الشخصية ، تقييما رفيعا جدا لقدرة الجيش السوفياتي ، وبصورة خاصة لصواريخه ، معلنا بأنها تشكل « الضمان الاكثر فعالية للسلم » .

وتساءل فيدل كاسترو قائلا : « لماذا تشكل وسيلة للمحافظة على السلم ؟ » وأجاب هو نفسه على ذلك قائلا : « لان نتيجة كل عدوان من قبل المعسكر الامبريالي ستكون الابادة التامة لهذا

المعسكر الذي لن يبقى منه حجر على حجر . وهذه الابادة لا يمكن الحيلولة دونها لا بهجوم غادر ضد الاتحاد السوفياتي ولا بهجوم مفاجىء ...

يعلم الامبرياليون جيدا ، وهم على اطلاع تام على المعدات التي يحوزها السوفياتيون ، ويدركون جيدا أيضا دقة هذه الصواريخ ... وبالتالي فهم يعلمون جيدا انهم لن يظلوا دون عقاب اذا شنوا عدوانا » .

اما الشعوب ، وجميع أولئك الذين يدافعون عن استقلالهم الوطني بمكافحتهم المستعمرين المعاصرين ، فهم لا يرون أي خطر في قوة الاتحاد السوفياتي ، التي هي على العكس ، سند اكيد لهم في نضالهم العادل في سبيل السلم ، والديمقراطية ، والتقدم الاجتماعي .

وحدث اكثر من مرة ، منذ سنوات الحرب الاخيرة ، ان تحذيرات الشعب السوفياتي ، المدعومة بموارده الاقتصادية والعسكرية ، قد دفعت المعتدين الى امعان التفكير ، وأرغمتهم على التخلي عن مشاريعهم في الغزو أو على وقف تحقيقها . ويكفي ان نتذكر العدوان الثلاثي الانكليزي ـ الفرنسي ـ الاسرائيلي ضد الجمهورية العربية المتحدة في عام ١٩٥٦ أو التهديدات المتكررة من قبل الامبرياليين بمهاجمة شعب كوبا الثوري .

وبناء على طلب حكومات عدد معين من البلدان التي تحررت مؤخرا في افريقيا وآسيا ، فقد ساعدها الاتحاد السوفياتي في تعزيز دفاعها . وينطبق ذلك على الجزائر ، واندونيسيا ، والجمهورية العربية المتحدة ، وبورما ، وغانا ، وغينيا ، ومالي ، واليمن ، والكمبودج ، وغيرها .

ان وجود المعسكر الاشتراكي وعدد كبير من بلدان افريقيا وآسيا واميركا اللاتينية ، التي سلكت بمساعدة البلدان الاشتراكية طريق تعزيز استقلالها الوطني ، يعرقل اكثر فاكثر الامبرياليين في تنفيذ مشاريعهم العدوانية . ولم يعد مصير الشعوب متوقفا على ارادتهم . هذه هي النتيجة المنطقية لتطور الانسانية .

لقد تحولت الاسلحة والمعدات الحربية ، بين ايدي الشعب السوفياتي والشعوب الحرة الاخرى ، من وسائل غزو واستعباد،

الى أدوات للسلم ، والحرية ، والاستقـــلال الوطني ، الى دواء مضاد للعدوان .

وتوفر القدرة العسكرية للبلدان الاشتراكية الظروف الملائمة لتحقيق مشاريع البناء الاقتصادي المدني .

والجندي السوفياتي ، شأنه شأن جميـــع الناس الشرفاء في العالم بأسره ، يحب السلم ، ولا يطمح الا الى العودة الى الحياة المدنية . ولكن طالما لم تأت ساعة وضع الاسلحـــة في المتحف ، فهو يركز كـــل يقظته على اداء رسالتـــــه . ويعلم المعتدون بأنهم سيصادفونه في طريقهم ، مسلحا بكل شجاعته ، وبكل تكنيكه ، وبكل روح التضحية لديه .

ان هدفه الوحيد هو صيانة السلم أمام اخطار الحرب .

فهرس

صفحة

الانسان الجديد تحت السلاح

من موسكو الى برلين

حارس السلم

منشورات وكالة انباء نوفوستي

« الانباء السوفياتية »

ملحق العدد ٩



مطبعة النجاح